دار الثقافة



أفكار في القيم

دكتور صموئيل حبيب

- الشكاوى الكيدية
- ماذا تعمل لو خانك صديقك ؟
- هل المرأة لغز؟
- هل أقول للأعور «أنت أعور» ؟

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

سلسلة كتب العلاقات الاجتماعية

أفكار فى القيم

دكتور صموئيل حبيب

دار الثقافة

طبعة ثالثة منقحة ومزيدة

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠/٤٣٤ طب /٥ - ٢٠/٨٦ - ٩٠ - ٩٢
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٤٥٦٢
الترقيم الدولى I.S.B.N 977 — 213 — 102 — 1

طبع بمطابع سجل العرب - ٩ ش عماد الدين - القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦

هذا الكتاب

يتأثر الانسان فى سلوكه بقيم معينة يكتسبها من المجتمع الذى يعيش فيه . ومن البيت الذى تربى فيه فالشخص الذى يرى فى الغش شطارة لابد أنه أكتسب هذا الفكر من بيته أو من مجتمعه وهذا الكتاب يقدم لنا نماذج من هذه القيم التى تؤثر على سلوكنا مبينا ما هو صالح منها وما هو مدمر لحياتنا .

كتاب شيق عندما تبدأ قراءته لن تتركه حتى تنتهى من قراءته .

وهو يقدم لنا موضوعات من البيئة المصرية بأسلوب سهل .

نرجو ان يكون نافعاً لك أيها القارئ .

دار الثقافة

فى هذا الكتاب

أفكار فى الإصلاح

١

هـل أقـول للأعـور « أنـت أعـور ؟ »

هل أنا أقول « الصراحة » ؟ ! !

وهل الصراحة فضيلة نشجعها ونمدحها ؟ ! !

وهل الشخص الأمين هو الذى يقول الصراحة ، أو الشخص الذى لا يقول الصراحة ؟ !

وهل تمسح الجوخ ؟

هذه أسئلة كثيرة عن الصراحة . نلخصها فى القول : « هل نقول للأعور : (أنت أعور) أم نسكت عليه » ! !

يفتخـر الكثيرون بأنهم من النوع الذى يقول رأيه بصراحة . وكثيراً ما يتحـدث النـاس عن صراحتهم ، وكثـيراً ما نسمـع شخصـاً يقـول : أنـا صريح — أنا أقول للأعور : (أنت أعور) . ولا يهمنى منه شىء ! أنا أقول الصراحة — وآكل من بيتنا ! !

وإننى أسألك : « من أعطاك السلطان أن تقول للأعور أنت أعور » ؟ !

من أنت يا من تدين عبد غيرك ؟

هل لك سلطان على غيرك ؟ هل أنت أفضل منه ؟ أنت فيما تدين غيرك تحكم على نفسك . . أنت تفعل هذه الأمور بعينها .

لذلك قبل أن تدين غيرك ، قبل أن تقول له « أنت أعور » أرجوك - أنظر أولاً إلى عينك لئلا تكون مريضة .

ثم أسألك أيها الصريح سؤالاً : « أيهما أهم . (الصراحة أم الأدب) » ؟ قد تكون صريحاً فتتكلم مع صديقك بقساوة وشدة .

إننى أعتقد أن الأدب والذوق أهم بكثير من الصراحة . فكن إيجابياً بدلاً من أن تقول له : « أنت أعور » قل له : « تعال معى أساعدك لكى تشترى نظارة » إن رأيت فيه عيباً حاول أن تصلح العيب بطريق مؤدب . طريق الصراحة لدرجة الهمجية ضار جداً . وأحياناً تكون الصراحة كالسيف الذى يقتل . كن مؤدباً ، لا تقتل . . . بل حاول أن تصلح .

تحدث نبيل مع إبراهيم بصراحة عن عيوبه فغضب إبراهيم وتخاصما .

قال لى نبيل : « أنا أحب الصراحة . ولن أغيّر رأيى . أنا ثابت على فكرى يجب أن أقول للأعور أنت أعور ! ! » .

فقلت له : « يا نبيل - مهلاً . إن قلت للأعور أنت أعور ، وكانت النتيجة المخاصمة فأيها أفضل . هل الصراحة أم إفساد الصداقات ؟ » .

إحتاج الأمر مع نبيل إلى وقت طويل لكى يقتنع بأنه إن كانت الصراحة تضر وتسبب الخصومات فليس هناك داع للصراحة . إن كنت تقدر أن تقول رأيك دون أن تجرح إحساس صديقك ، فلا مانع .

« إن كنت قاسياً لدرجة أنك لا تعرف أن تقول الحق دون أن تجرح إحساس الناس ، أنصحك بالصمت . صراحتك خطرة وستضر الكثيرين » .

ولكن ، ما رأيك فى « مسح الجوخ » ؟ !

هــــل هــــو شـــــــر ؟

وهــــل هــــو دليــــــل الضـــعف ؟

عندما نتكلم عن « مسح الجوخ » نتكلم عن مجاملة من هم أفضل منا مقاماً أو مركزاً . وليس فى هذا خطية . إن مسح الجوخ لا يصح إن كان مخالفاً للضمير . فلا مانع أن تبدى رأيك متى طلبوا منك ذلك ، وحاول فى ذلك ألا تجرح إحساس الغير .

إن كان هناك شخص فيه عيب ما ، فلابد أن عند ذلك الشخص بعض التصرفات الحسنة وليس هناك مانع أن تمتدح تصرفاته الحسنة .

لست أوافق على التملق بقصد مصلحة شخصية .

ولست أسمح بمسح الجوخ لأغراض غير شريفة .

وإنما أعتقد أن « مسح الجوخ » - فى مرات ليست قليلة أفضل كثيراً ممن جلس على كرسى القضاء يدين الآخرين ، وكأنه هو الملاك الوحيد . . .

«• • فلا مانع من مسح الجوخ . . . أو الصوف . . . أو القطن ، فقط لا تخالف ضميرك • •»

٢

النـــقد الهـــادم . . .

النقد على أنواع . . .
هناك نقد يهدم ! وهناك نقد يبنى . . .

لا يمكننا أن نستغنى عن النقد . إنه سلاح يحارب الخطأ ، وكل هيئة مهما كانت ، تحتاج للناقدين الذين يوجهون سياستها ويبعدونها عن الخطأ . وكل فرد فى حياته الشخصية معرض أن يتصرف تصرفات خاطئة . وهو يسير فى الخطأ ما لم يجد من ينتقده . والانتقاد قد يكون كلاماً شخصياً وقد يكون كتابة فى الصحافة والمجلات .

مـــا هـــو النـــقد ؟

ليس هو انتقـاد الخطأ فقط ، بل هو توضيح الحسن وامتداحه . إننى أمـدح الحسن والصـواب ولهـذا أشجـع استمرار هذا . وأشجع من يعمل الصواب لكى يستمر فى ذلك .

والنقد أيضاً هو توجيه للخطأ . وكلنا يخطىء وليس فينا من لا يخطىء

والنقد لازم للخطأ لكى تحترس منه وتبتعد .

ولكن النقد يكون هادماً إن تركنا نقد الموضوعات إلى نقد الأشخاص . إننا نفسد خيراً جزيلاً لو هاجمنا الأشخاص . فإن الأشخاص ـ وإن أخطأوا ـ كثيراً ما يكونون مخلصين فى أعمالهم .

وقد نختلف فى آرائنا ونكون فى نفس الوقت مخلصين . أما إن خرجنا عن هدف النقد ! وهو الإصلاح إلى التشهير بالناس فهذا شر عظيم . كثيرون يستخدمون النقد بقصد التشهير والسخرية بالآخرين . هؤلاء متكبرون يريدون أن يجلسوا قضاة ! وليس لهم حق القضاء على غيرهم .

وإن كان النقد يمس الأشخاص فإن الروح الإنسانى الصادق هو أن ننتقد بمنتهى الرقة واللطف والمحبة ؟ وأن تحاول ألا تجرح إحساس شخص ما .

ويظهر النقد الهادم بصورة واضحة فى حالة الغضب ؟ عندما يفقد الإنسان السيطرة على أعصابه . وبذلك يفلت منه الزمام . وأحياناً ننتقد شخصاً لشىء عمله رغم أنفه .

النقد الهادم سلاح الفاشل . .
النقد الهادم سلاح المتكبر . .

النقد الهادم سلاح لا يمسكه سوى شخص يشعر بنقص فى حياته وشخصيته ويريد أن يعوضه . .

لنحذر النقد الهادم . .
ولنفكر فى النقد الذى يساعد ويبنى . .

٣

تكـــاليـف الاصـــــلاح

ركبنا عربة حنطور . .
صديقى وأنا . .
وكنا فى شوارع المنيـــا .

وقد كانت شوارع المنيا قبلاً مرصوفة مريحة ، ولكنها الآن مملوءة بالكسور فى أماكن مختلفة . السير عليها صعب ، والركوب عليها أصعب .

وكان صديقى ضيفاً علىّ بالمنيا . .

قلت لصديقى : « معذرة فالشوارع غير مريحة للسير أو للركوب . حفرت الشوارع أولاً لأنابيب المياه ، ثم المجارى ، ثم للتليفونات ، ولازالت » . .

قال صديقى : « هذه تكاليف الإصلاح » .

لقد أعجبنى هذا التعبير جداً .

للإصـــــلاح تكـــاليـــف .

والتكـاليف تظهر فى فترة الانتقال من السىء إلى الحسن . بل إن فترة الانتقال تكون أحياناً أسوأ مما قبلها ومما بعدها .

عنـدما تبدأ الإصلاح فى أى مجتمع ، فإن فترة بدء الإصلاح هى فترة الانتقال . وهى عادة ، أسوأ مما قبلها ومما بعدها .

عندما تبدأ تجربة زراعة جديدة فى الدولة ، قد تنجح وقد تفشل . وقد يقول الناس إن الحكومة أفسدت عليهم الكثير . والواقع إن فترة التجارب هى المحنة . وبمجرد أن تنتهى تأتى مرحلة النجاح والسعادة .

عندما ننادى للناس بتنظيم الأسرة ، وتقليل عدد الأولاد ، يحس الناس بثـورة . ويبـدأ صراع كبـير . ويتردد الكثـيرون ، وفى هذه المحنـة يصارع الكثيرون مع أنفسهم وربما مع غيرهـم . ومتى انتهت الفترة ، وصار الهدوء ، يعود كل واحد إلى تقليد جديد ونظام جديد وهو مستريح النفس .

إن مع كل تقليد جديد صراعاً كبيراً . ومتى انتهت المدة الأولى للصراع استراحت نفس الإنسان ، وتطور مع الزمن .

٤

ليس بالشكوى والتذمر تحقق الأهداف

يلجأ بعض الناس إلى الشكوى عندما يريدون الحصول على طلب معين . . والشاكي يحاول أن يبرز المشكلات ونقاط الضعف ، وأنه مظلوم ، لعله من وراء ذلك يحصل على تعاطف من يتحدث إليه ، وفي هذه الحالة يظن أنه يحصل على ما يريد .

إلا أن الشكوى - إلى جانب ذلك - أسلوب حياة . فهناك من يهوى الشكوى ، ويشكو من أى وضع . بل - إنه للأسف الشديد - تجد حتى المستريح ، والذى يحصل على ما يستحق ، وله مكانته ، وهو إلى جانب ذلك يشكو .

هناك من يشكو لعله يكسب تعاطف الناس . والشعب المصرى يتعاطف بسرعة وينسى « الأصول » و« القيم » . إنه سرعان ما يقول الناس : معلهش ما تزعلوش ، لقد حشرنا الكثير أمام كلمة معلهش ، وكم من حقوق ضاعت أمام كلمة « مايهمش » ! !

وهناك من يشكو ، لعله يعمى عين الناظر إليه ، فلا يرى الناس ما عنده من مميزات ومتع . وهو لايريد أن يحرم نفسه عطف الناس ، أو إنه يريد أن يتفادى حسد الناس .

إن من يشكو دون أن يحمد الله لأجل الخيرات التى أعطاها له ، إنسان حاقد لايستحق الخير . إن من يملأ الدنيا تذمراً وشكوى ، يحيط نفسه بمشاعر مريضة ، وإحساسات سلبية تمتص طاقته وتسلبه ما عنده من قدرة على العمل الخلاق ثم النجاح .

وهناك من يشكو ، لأنه ليس ناجحاً بالقدر الكافى ، أو لأنه يحس بأن شخصاً منافساً له ينجح أكثر منه . فيريد أن يلفت نظر الناس إليه بأنه يواجه مشكلات كبار قللت من نجاحه ، أو أن هناك أسباباً أكبر منه لم تدعه يحقق النجاح .

لاشك أن كل واحد يحتاج ، أن يشرح المواقف التى تواجهه ، وأن يقيّمها التقييم الصحيح . إن الإنسان الناجح يرى ما عنده من مقومات النجاح ، كما يرى ما عنده من نقاط الضعف . وهو لا يحتاج للشكوى ، ولا يرى داعياً للتذمر لكنه يحاول أن يقر الواقع .

لكن المشكلة هى أن « التذمر » كاد ـ فى مجتمعنا المصرى ـ أن يكون عادة ، يتذمر الإنسان على الحسن والردىء ، على المفيد ، على المريح والمتعب ـ ولو انك جلست إلى الإنسان ليواجه ضميره بصدق ، لتحدث إليك بالخير الذى أعطاه الله له .

ماهذا التذمر والسخط على كل شىء ؟
ماهذا الانتقاد الشديد لكل شىء ؟
ماهذه الشكوى الدائمة ضد كل شىء ؟

ماهذه الشكوك فى كل مايحيط بالإنسان ؟ إن الإنسان الناضج يرى

الجوانب المضيئة مع الجوانب المظلمة . يشهد الجوانب الإيجابية مع الجوانب السلبية . إن الإنسان العاقل لايبالغ فى أن يكون صادقاً مع نفسه فى كل مايمسه .

إننا لانحقق أهدافنا بالشكوى والتذمر . إننا بالشكر والتقدير والثناء نبنى حياتنا ونبنى للمستقبل . كلما حاولنا أن نكون إيجابيين ، نتطلع إلى حياة مشرقة ، نحاول أن نجد الخير ونهتم به أكثر . . . كلما حاولنا أن نفكر فيما هو أفضل وأحسن وأجمل وأن نعيش له ، كلما كانت حياتنا أروع وأجمل وأفضل .

٥

الشـــكاوى الكيـــديـة

خطابات بدون توقيع . . .
خطابات مجهولة . . لاتعرف أصحابها .

خطابات تتهم أناساً بأنهم شيوعيون ، أو صهيونيون ، أو استعماريون ، أو مخالفون للقوانين . كلها بدون توقيعات أو توقيعات غير صحيحة .

والشكاوى الكيدية تصل لأهل العريس تحمل أخباراً ضد العروس ، والعكس .

وعندما يدخل اثنان فى تجارة معاً ، تصل الشكاوى الكيدية لتفصل بينهما .

وتصل أحياناً إلى صديق ضد صديقه الآخر ، لكى تنهى صداقتهما معاً .

الشكاوى الكيدية كثيرة لاحصر لها .

الشكـاوى الكيدية وليدة شخص مغبـون خائف جبـان . إن الشجاع

لايرسل شكوى كيدية مخفية الإسم . الشجاع يعبر عن نفسه بصراحة .

فى مجتمع تعوّد على الجبن تجد الأقوال الكثيرة والشكاوى الكيدية فى كل مكان . فى الرسائل ، وعلى جدران البيوت ، وعلى أبواب المدارس وجدران المراحيض . كلما كثرت الشكاوى الكيدية ، أحسسنا بأن هذا الشعب لم يتعود ـ بعد ـ الشجاعة وحرية التعبير عن النفس .

التعصب الأعمى دليل الجهل . فالمتعصب يثور دفاعاً عن حزبه أو جماعته أو عقيدته ، دون أن يناقش .

التعصب صفة حتى فى المتعلمين الأغبياء ، الذين لايرون الصالح العام ، بل تهمهم المصلحة الشخصية . إن التعصب هو وليد الانانية ، أنانية الفرد ، أو أنانية الطائفة والعقيدة ، أو أنانية الجنس .

كما أن الشكاوى الكيدية تنشأ عن الكراهية . والكراهية أكبر عدو للمجتمع الإنسانى . إنها الدودة القارضة التى تنخر فى عظام المجتمع وتحطمه .

فى حالة الكراهية ، يشكو الإنسان قريبه أو صديقه للنيابة بشكوى مزورة وبشهود زور .

الكراهية هى التى تدفع شخصاً أن يكتب لأسرة الخطيب قصصاً كاذبة عن خطيبته .

للتعصب دور خطير فى الشكاوى الكيدية . . . والكراهية دور سيىء .

وثالثاً : الغيرة . الغيرة التى ترافقها الكراهية والحقد هى السبب فى شكاوى لاحصر لها . أحياناً الغيرة تكون السبب الذى يعمل على الكراهية .

الغيرة ممن هو أفضل وأنجح ، تثير الدوافع فى النفس الدنيئة للإساءة

إليه . وكانت غيرة إخوة يوسف منه لأنه كان محبوباً من أبيه أكثر منهم هى السبب الذى جعلهم يلقونه فى البئر .

الشكاوى الكيدية دليل وجود شخصيات غير شريفة غير مخلصة ... إنها دليل على أن أصحابها هم شخصيات تافهة لا تستحق أن تعيش، ولكنها فى نفس الوقت دليل على أن أصحابها مملوءون من الحقد والشر والقلق .

٦

طوبى لمن لايضيع وقته فى الرد على هجوم

مجتمعنا ملىء بأنواع من الناس ، خصصوا أنفسهم للهجوم على الغير ، والإساءة إليهم . هناك أناس مرضى ، تحس أن شغلهم الشاغل هو الإساءة إلى الناجحين ونشر الشائعات ضدهم ، والحديث عنهم . فأولئك ، لو وضعوا جهدهم فى بناء ذواتهم ، وتحقيق أهدافهم لنجحوا . ولكنهم مليئون بالحقد والكراهية ، وحب الشر للغير . إنهم يعكسون صورة ما بداخلهم على غيرهم . إنهم يريدون أن يشاهدوا ما فيهم من فشل فى غيرهم ، فيصورونه للناس عن طريق الهجوم والطعنات والإساءات . فأولئك ، لو واجهوا أنفسهم بصراحة ، ولم ينكروا ضعفاتهم ، لأمكنهم علاجها ، والخروج منها . لو استغلوا كفاحهم وصراعهم فى إصلاح ذواتهم ، وبناء مستقبلهم ، لنجحوا فى الحياة .

ولعلك تشهد الفاشلين يعملون معاً ، ويدافعون عن بعضهم البعض ، ويساندون مهاوى الخطأ ، والضعف والفشل : وكان الأحرى بهم ، أن يبذلوا كل طاقاتهم فى العمل الخلاق ، والفعل البناء ، والشغل الشاق .

لم أهتم يوماً بالدفاع عن نفسى . ولم أهتم يوماً بإضاعة وقتى فى الرد

على هجوم، أو مواجهة إساءات. لقد أحسست دائماً أن وقتى أغلى من ذلك. لقد كانت رؤيتى دائماً، أن أبذل جهدى للعمل، وأن أخصص له وقتى.

ليضيع المهاجمون وقتهم فى الهجوم التافه ، فهم الخاسرون . ليصرف الحاقدون وقتهم فى الإساءات ، فهم يكشفون ذواتهم .

إنه ، طوبى لمن لا يضيع وقته فى التفاهات ، ويعطى حياته للعمل البناء الخلاق .

٧

سلام أو سيف

أيهما تفضل : السلام أو السيف ؟ لا شك ستختار السلام . فالسلام يتقدم على أى شيء آخر . تسعى الدول للسلام ، وتكاليف السلام غالية ، لكن السلام هام جداً ويسعى الناس للسلام ، وللسلام قيمة غالية فى حياة الفرد ، وفى علاقاته بالآخرين .

عندما نجد خصومة نسعى للسلام . عندما يحس إنسان بعدم الراحة ، فهو يبحث عن السلام بكل طريقة ممكنة ، لعله يصل إليه . لا شيء يحل محل السلام .

لكننا نواجه أحياناً بعض المواقف ، التى تعرضنا للتساؤل : هل نشترى السلام على حساب الأمانة والحق والعدل ؟ هل نفضل السلام على القيم الغالية ؟ وأيهما أعظم : السلام أم العدالة ؟ السلام أم الأمانة ، السلام أم الحق ؟

يواجهنا هذا السؤال مرات عديدة . لو شاهدت لصاً يسرق ، هل أسعى للسلام ، والسلبية وأصمت ، أم أكشف السارق ، حتى يمتنع الشر ؟ لو شاهدت إنساناً يعمل خطة تضر آخرين ، هل أصمت ، وأشترى السلام بالصمت ، أم أثور ، وأحمى الناس من الضرر ؟

فالسؤال هنا : أيهما أفضل : السلام مع استمرار الشر ، أم السيف مع النقاء والطهارة ، يمكن أن يكون هناك سلام بينى وبين الغير ، على أساس أن أصمت ، وأحمى الشر ، لكن يتم ويستمر . فالسلام هنا دعامة الشر والفساد .

لا يمكن للسلام أن يكون سلاماً ، ما لم يبن على الحق والعدالة والأمانة . فالسيف مع العدل ، حق ، والسيف مع الأمانة شرف . الخلاف – والذى قد يمتد للشجار – إن كان فى سبيل الحق والعدل ، فهو أكرم وأشرف من السلام فى سبيل امتداد الفساد .

٨

الدنيا بخير

أشعر بسعادة كبيرة ، عندما أقرأ عن سائق تاكسى ، وجد فى التاكسى حافظة نقود الزبون ، والزبون ترك التاكسى ونسيها . ويرد السائق الحافظة إلى الشرطة . فعندما يسأل الزبون عنها ، يجدها .

قرأت عن شخص وجد ستين ألفًا من الجنيهات ، سلمها للشرطة ، للبحث عن صاحبها . فالمبلغ كبير ، والإغراء ضخم ، لكن الأمانة أقوى ، والشرف أغلى .

فإن كنا نسمع بين الحين والحين ، عن أخبار مؤلمة ، لسرقات ، وخيانة ، وجرائم عديدة ، لكننا نحمد الله . فهناك أشراف وأمناء عديدون فى بلادنا .

عندما تمسك جريدة الصباح ، قد تسرع إلى قراءة الحوادث . هذه جريمة قتل ، وتلك جريمة سرقة ، وهذا حادث سطو على شقة ، وذلك حادث اعتداء على إنسان ، إلى غير ذلك .

قد تستمع إلى حادث سرقة ، فى المنطقة المجاورة لمسكنك ، ويكون هذا الحادث موضوع حديث السكان لفترة من الزمن . يثير هذا الحادث قلق الآمنين ، وخوفهم . إن ما حدث لغيرهم ، قد يحدث لهم .

إلا أننا إلى جانب ذلك ، لابد أن نحمد الله . فهناك كثيرون أمناء وأشراف ، نكتشفهم كل يوم .

أفكار فى المعاملات

١

لا عـــلاج لهمـــــا . . .

إثنان لا ثالث لهما . .
لو حاولت العلاج ، فهما يزيدان ولا يضعفان . .
لو حاولت التهدئة ينقلبان . .
لاتصلح معهما المسكنات ولا المهدئات ، بل تزيدهما . .
كلما مرت عليهما الأيام كلما زادت قوتهما شراً ورداءة . .
إن وجودهما يحطم صاحبهما ، يفقده المنطق ، ويجعله يحكم دائماً الحكم الخطأ على المواقف . . كل شىء غيرهما له علاج ، أما هذان فلا علاج لهما .

هذان الأمران هما : الحـــقد ، والغيـــرة . .

الحاقد مريض . . كلما تطلع بعين الحقد رأى الصورة المشوهة والعيوب الواضحة . الحسنات فى نظره عيوب . يفسر كل شىء بالخطأ . يبحث عن مشكلات من يحقد عليه ويحاول الإساءة إليه .

والغيرة متى انقلبت حسداً صارت مرضاً ، أثرها الحقد .

وكلاهما يتولد عن إحساس الإنسان بأنه لايريد أن أحداً يكون أفضل منه ، أو أنجح منه . كلاهما يعبر عن رغبة صاحبه بأنه هو « الوحيد » أو « الأوحد » .

وأحياناً يتولّدان عن الإحساس بالظلم . والذى يحس بالظلم قد يكون مظلوماً وقد يكون طامعاً . فالمظلوم بحق ينبغى أن تعاونه ، والطامع الجشع لا حل له .

وعلاج الحقد ، أن يجد الإنسان من نفسه « غنىً » أعظم مما يعطى له من الغير ، فالغنىَ غنىَ النفس ، ونجاح الإنسان فى حياته أولاً . الحقد علاجه أن يرضى الإنسان على نفسه وأن يرضى على عمله .

٢

سريعون إلى الشك

مشكلتنا أننا سريعون إلى الشك . مشكلتنا كمجتمع من المجتمعات النامية ، أننا نرى العيوب قبل أن نرى المميزات . ونحن فى مصر ، ميالون للمبالغة ، وتضخيم العيوب .

سرعان ما تظهر شائعة ، ويستقبلها الناس على أنها لابد حادثة ، وقد لايحدث . إن « أمانى » الناس تتحول إلى « قصص » كما لو كانت واقعية ، « خيالات » الناس تصبح بأسرع ما يمكن حقيقة فى نظر الناس وهى ليست كذلك .

فإن كانت « الأمانى » الرديئة هى الشكوك ، فإنه بسبب الحقد تتحول الأمانى إلى شكوك يهاجم الناس بعضهم بعضاً ، فإنه يمكنك أن تسمع قصة كاملة لا أساس لها من الصحة . وإن كان « الحقد » يصور للناس خيالات ضد الذين يحملون الحقد ضدهم فكم من اناس تحطموا على صخور الحقد والكراهية .

يقولون : لايظهر « دخان بلا نار » هذا صحيح فى حالات كثيرة . فإن

مايشوه الإنسان قد تكون له جذور فعلاً . ولكن هناك ما يشوه الإنسان ولا جذور له . واختلاط الأمرين يجعلك حائراً : هل هو شرير ؟ هل الشائعات عنه صادقة ؟ هل ما يقال عنه صحيح ؟

متى رأينا الدخان لايجوز لنا أن نحكم . فنحن لاندرى ما هو مصدر الدخان . لكننا إن رأينا « النار » التى يخرج منها الدخان ، فى هذه الحال فقط تتأكد من أن للقصة أصل . إنه من الخير لنا أن نحكم على المخطىء بالبراءة عن أن نحكم على البرىء بالخطأ .

كم من أبرياء فى بلدنا تشوهوا لسبب الحقد ، كم من مخطئين فى بلدنا أمكنهم إخفاء الأخطاء فلم يشعر بها أحد ، فترة طويلة من الزمن . لكنه لا خفىّ إلاّ ويعلن ، لا مكتوم إلا ويكشف .

لو أننا أبطأنا فى الشك حتى نرى النار ، لكان هذا أهونْ . إن المشكلة هى أننا عندما نشك نبحث عن الأخطاء التى تساند شكوكنا . وهذا أشر ما يحدث من حاقد . إنه يفتش عن الأخطاء يبحث عنها فى كل مكان ، يحاول أن يجاهد ، يفسر بعض التصرفات لتبرر ما عنده من شكوك .

لنحرص عندما نشك لئلا نجرح إنساناً بريئاً . لكننا نحتاج أن نحرص أيضاً لئلا يحدث الخطأ ويفوت الوقت . ولو أننا حرصنا مبكراً ، لأمكننا أن نحمى المخطىء من الخطأ .

إن للشك ـ الأمين ـ حدوداً ، وهى حماية للمخطىء من أن يخطىء . أما الشك الحاقد ، فهو جريمة قتـل .

٣

عامل الناس كما هم . .

لكل إنسان ضعفاته . ومن منا ينكر أن له ضعفات ؟ لكل إنسان منا زلاته . وهل يوجد شخص يدعى أنه لايزل ؟ إن القديسين لهم أخطاء .

لكن مشكلة كل إنسان هى أنه لا يعترف بما يصدر منه . فلو اعترف لكان ذلك إدراكاً منه لحالته الحقيقية بصدق . لكنه إن لم يعترف ، فإن المشكلة تبقى وتستمر . وأن ميزة « الناضج » هى أنه متى أخطأ ، أحس بالخطأ واعترف به . أما الشرير فهو إما أنه لا يعترف بالخطأ ، أو يعترف به ولا يتوب عنه . إن عظمة الناضج هى فى أنه يعرف من هو ؟ ولا يتعالى أكثر من ذلك ، نحن بشر والبشر معرضون لكل تجارب الدهر ومشكلات الزمن . ونحن بشر ، وللبشر ضعفات تختلف من فرد لفرد .

إننا ونحن نتعامل مع الناس ، لا يجوز لنا أن نحكم عليهم بمقاييسنا ولا يجوز لنا أن نطلب منهم أكثر مما يحتملون أو يقدرون . لنترك الناس . . . كما هم . ولنعاملهم نحن حسبما نعرفهم .

لو حكمنا على الناس لخسرنا الجميع وربما كان الأولى بنا أن نحكم على أنفسنا فنحن ضعفاء ولنا أخطاؤنا .

٤

طوبى لمن يقدر أن يحب عدوه

يمكنك أن تحب صديقك ، فهذا أمر طبيعى ، ومعقول . ويمكنك أن تعامل صديقك بالمحبة ، وتبادله الشعور والعواطف . بل أنك تشعر أنك تريد أن تعطيه أسرارك . وكصديق أمين ، فهو يحفظ لك أسرارك .

لكن المشكلة تقوم مع من يسىء إليك . وأول ما يتبادر إلى ذهنك ، هو أنك تريد أن تسىء إليه كما أساء إليك . أو ـ على الأقل ـ فأنت تدافع عن نفسك وفى سبيل دفاعك عن نفسك تسىء إليه .

وعندما نذكر الإساءة تتحول العلاقة إلى « عداء » وفى العداء يشحن الإنسان كل طاقاته للهجوم والسخرية وللتفتيش عن العيوب ، والتشويه والتشهير .

إن المشكلة ، فى حالة الخلاف ، أن ينتقل الإنسان بسرعة إلى التشهير . ومرات يتحول الإنسان إلى تصور العيوب ، ثم يحكيها ، وتكون التصورات كلها خيالية كاذبة . كم من إنسان خسر سمعته بسبب أقاصيص مختلقة أشيعت عنه ، وهو منها برىء ؟

إن التشهـير جريمـة قتـل . إنـه لابد للإنسان العاقل أن يعرف علهوه « العـداوة العاقلة » والعداوة « الجاهلة » فالأولى تبنى وتحرص على العدو ، والثانية تهدم ، لأنها لا تحرص على شىء . إن العدو العاقل ، لا يحطم كل شىء ، ولا يهاجم كل شىء ، ولا يلعن كل حسن . إن العـدو العاقل ، يحاول أن يحتفظ بعدوِه ، ليسترجعه مرة أخرى إلى صداقته . وسبيل ذلك ، أنـه ينـاقش المشكلة التى فيهـا خلافـاً « موضوعياً » ولا يهاجم « شخص » العدو ، وسلوكه ، وأسلوبه فى الحياة . إن العدو العاقل لا يتهجم بسرعة على أسرة عدوه ، وأفراد عائلته ولا يفشى أسراره ولا يبحث له عن حفرة يقع فيها . إن الحياة غالية ولا يجوز للإنسان أن يخسر ولو عدواً واحداً .

لو أمكن الانضبـاط ، صار فى الإمكان أن يسترجع عدوه ، يوماً ما ، ليكون له صديقاً مرة أخرى أو ـ على الأقل ـ لا يخسره كل الطريق .

إن مالك نفسه خير من مالك مدينة . إن الذى يملك أعصابه ومشاعره ، ويتحكم فيها هو إنسان قوى ، يستحق الاحترام .

الذى لا يقدر أن « يحفظ » عدوه يخسر كل يوم إنساناً . . . والعاقل ، يربح كل يوم إنساناً . طوبى لمن يقدر أن يحتفظ بعدوه . . . وهو راسخ لو أمكنه أن يربحه عن طريق الحب .

٥

درب نفسك أن تحتمل مقالب الأصدقاء

مقـــالـب ! !

وهــل للأصدقــاء مقــالــب ؟ نــــعم . .

ففى يوم كان شخص ما صديقاً لقيصر ، ومرة واحدة صار عدوه !

والصـديق الـذى يعرف صديقه معرفة جيدة ، متى تحول عدواً كانت العداوة شراً عظيماً . فهما - كصديقين - يعرف كل واحد منهما حسنات الآخر وعيوبه . فمتى أراد واحـد منهمـا أن يعـادى الآخـر ، كـانت عـداوتـه عظيمة وخطيرة .

ولكن لا تغضب . درب نفسك أن تحتمل مقالب الأصدقاء ! فإن بعض الأصدقاء يشعرون بفرح إذ يتحدثون إلى غيرهم بانتقاد وسخرية . والسخرية تضايق ، ولكن الذى يعجب بنفسه ويظن أنه أفضل من غيره ، يسخر من غيره . فلا تخف من مقالب الأصدقاء المتكبرين فالكبرياء وحب الذات ، تدفع الإنسان أن ينكر أصدقاءه .

نعم . . هناك أصدقاء قلوبهم طيبة مخلصة . وهنـــاك أصدقاء كالحيات . . . طيبـون فى الظاهر ، ولكنهم فى الداخل سم قتّال . . .

فاحذر السم ، ولكن لا تخف ، بل درب نفسك أن تحتمل مقالب هؤلاء ! !

٦

مـاذا تعمـل لـو خـانك صـديق ؟

ماذا تعمل لو خانك صديق عزيز ؟
هل تثور فى وجهه ، وتلطمه على خده ؟
هل تحتقره وتعامله معاملة سيئة ؟
هل تتحدث عنه مع جميع الناس ، وتعرف كل الناس أنه شرير فاسد . وأنه لا يجب الاعتماد عليه ؟
هل تقطع صلتك به ، وتمتنع عن معاملته ، وعن التكلم معه ؟
مـــــاذا تعمـــــــل ؟

النـــــاس طبـــاع ! !

فهنـاك الشخص الصريح البسيط الذى يقول لك ما فى بطنه ، إنه لا يخفى عنك شيئاً . إنه شخص اجتماعى . يحب المجتمع ، ويحب الناس . ويتكلم بسهولة وببساطة وإخلاص ، إنه يقول لك ما عنده ومن وراء ظهرك لا يتكلم غير ما يتكلم به أمامك ، إنه الشخص الذى تثق فيه ، وتحبه .

وهنـاك الشخص الـذى يقـابلك ويكلمـك بكلام طيب لطيف مخلوط بالعسل . يخرج من فمه عسل وحلاوة ! إنه ظريف تعتمد عليه كثيراً ولكنك

تندهش مرة عندما تسمع أنه تكلم ضدك ، تراه يختار أعز صديق لك لكى يعمل بينكما خصومة ! ! !

هذا الشخص كالدودة القارضة التى يعرفها سكان القرى الجبلية ! تهجم الديدان القارضة على البيت بالآلاف ، تدخل الخشب فى عروق السقف وتدخل فى خشب الشبابيك والأبواب تأكل الخشب من الداخل . وبذلك يضعف الخشب ويسقط على غفلة ! !

الحكمة خير واللؤم شر . . احترس منه

حسن أن تكون حكيماً . . .
كان سليمان الملك حكيماً جداً . . .
والحكمة ضرورية ولازمة . . .

الحكيم هو الذى يعرف أن يتعامل مع كل إنسان . هو الشخص الذى لا يدخل فى الخصومات هو الذى يهرب من الغضب هو الشخص الذى يعرف أن يتصرف بالطريقة المناسبة مع الناس فلا يضايق أحداً ولا يتعب أحداً .

لكن الحكمة ـ أحياناً ـ يستخدمها أصحابها للضرر . والحكمة فى هذه الحالة لؤم ! ! اللئيم هو الذى يستخدم الحكمة لإيقاع الآخرين فى الأذى والضرر وهذا شر عظيم ! !

هناك من يخدع ولا يعرف

ولكن لا يجب أن نتسرع فى الحكم على الآخرين . هناك أناس لا يعرفون سوى نقل الكلام من شخص إلى شخص . إنهم بسبب جهلهم يفسدون خيراً عظيماً .

فمثلاً ـ خليل ـ شاب طيب عيبه أنه إذا جلس معك قال لك كل ما يقول الناس عنك . وإن جلس مع غيرك قال له كلامك عنه . هذا الذى نسميه (الخباص) أحياناً يكون مخلصاً ، ولكنه لا يفهم أصول المعاملة وبذلك يسىء إلى الكثيرين .

احـــترس مـن الكـلام الـزائـد و « الخبص »

إن أكبر مشكلة فى نقل الكلام هى عدم نقل الكلام على أصوله . فمن الطبيعى أن الذى ينقل معه أخباراً أو كلاماً زائداً ، فمتى نقل لك شخص كلامـاً لشخص آخـر ، لابـد من وجود كلمات زائدة ـ أو أفكاراً لم يقصدها الشخص الأول .

وإن كان الشخص الذى يتعامل معك لئيماً ، احترس أكثر . أحياناً ينقل لك كلاماً لم يحدث . كن حريصاً لا تسمع كل ما يقوله لك الناس . وحاول أن تعرف السر بسرعة !

الصـــراحـة والمـواجهة والمحبة هى العـــلاج

كن صريحا . واجه الذى تكلم عنك من وراء ظهرك . لا تغضب منه ، بل تكلم بكل محبة . إذا كان الكلام الذى وصلك كذباً . إنس كل شىء عنه . وإن كان صدقاً عالج الأمر بالمحبة . لاتنتـقـم ... بل كن محبـــاً . . .

وانس عيوب الآخرين ، فأنت لك عيوب مثلهم . . .

ولا تنس فى كل شىء أن تكون محبـــاً . . .

٧

عـرفتـه فـى المحنـة . .

إن المحنة تواجه كل إنسان ، فى وقت ما من حياته . ولا تخلو حياة إنسان من المحن .

وفى المحنة نرى الناس على حقيقتهم . منهم من يخون ومنهم من يخدع ومنهم من يتهكم ويسخر ، ولكن منهم من يهتم ويعطف .

التقيت بشخص قال لى إنه سيخدمنى بكل قواه ، وأنه سيبذل الغالى فى سبيل إراحتى ولكنه غدر بى ، ودبر لى مكيدة ، ولولا رعاية الله لسقطت . . .

والتقيت بآخـر . . قال لى : نحن إخـوان فى الخير ، ولكن فى الشر لا أعـرفك ، أبعد عنى . فابتعدت عنه وتركته . وعندما انتصرت وعدت إلى مكانى الأول أقوى مما كنت ، عاد إلىّ يقول : « أنا صديقك » . أحسست بأن واجبى أن لا أتركه ، فالجبان يضر نفسه ، وعدت صديقاً له . . على حذر .

والتقيت بثالث قال لى إنى أود أن أخدمك بكل قواى ، ولو أمرتنى بشىء أطعتـك . فوجدت فرصة يمكنه أن يخدمنى بها . وذهبت إليه ، فتهرب ،

وكان يود لو كان بعيداً عنى . فتركته ومضيت مبتسما .

والتقيت برابع . . رآنى فى الضيقة فضحك . تعود أن يرانى منتصراً . وعندما رآنى مكدراً ضحك ضحكات ساخرة . . . فضحكت معه على نفسى وعلى نفسه .

والتقيت بخامس . . وعدنى بأن يضحى بكل شىء لخدمتى ، وكنت أعتقد أنه قادر على ذلك . ولكن لم يكن هناك مجال لخدمته ، فلم يتمكن .

والتقيت بسادس . . وقف إلى جوارى ، شاركنى الألم وشاركنى الصلاة ، أحس بأنه فاشل عندما فشلت أنا ، وأحس بأنه منتصر عندما انتصرت أنا . . إنه صديق العمر . . .

لقد رأيت فى محنتى الكثير . . .
ولكنى رأيت من النوع الخامس الكثير ومن النوع السادس الأكثر . . .
الدنيا بخير
إنها مليئة بأرباب الخير ومحبيه .

٨

مـــرحبـــاً بالصـــدمـــات

الصـدمات بركة ولكنها إذا تحولت إلى خصومات صارت لعنة . بدأت جلسة للسيدات فى بلدة صغيرة ، وكانت الجلسة فى أول يوم لها .

حضرت كل سيدة وقد لبست أفخر ما عندها من الملابس . كل سيدة معجبة بنفسها جداً ، وكانت هذه هى المرة الأولى لهؤلاء السيدات للاجتماع . بدأت مناقشة فى موضوع ما . ثارت احدى السيدات ، فثارت سيدة أخرى ، واصطدمت سيدتان معاً .

وقالت سيدة ثالثة : « إن كان الاجتماع يسبب التصادم والخصومة فليس هناك داعٍ للاجتماع » .

خرج بعض السيدات من الجلسة ـ وانتهت الجلسة ـ ولم تجتمع مرة أخرى .

جاءت إحدى السيدات تحكى لى القصة . فقلت لها : « إن من المعقول أن اجتماعاً مثل هذا يحدث فيه تصادم » .

قالتْ : « ولكن هذا عيب . ليس هناك داعٍ للاجتماع مرة أخرى » .

قلت لها : « الإنسان الذى لم يتعود الاختلاط بالناس ، كثيراً ما يصطدم بهم عندما يختلط معهم . إنه يصطدم لأنه لم يعرف كيف يعامل الشخص الآخر . وكلما تعود الإنسان على فن الاختلاط بالآخرين كلما كانت صدماته قليلة » .

لابد من التصادم . فمنه نتعلم كيف نتعامل بعضنا مع بعض . يصير التصادم شراً إن تحول إلى خصومة فيها كراهية وحقد والتصادم لا يتحول إلى كراهية سوى عند أصحاب العقول الصغيرة .

إن اصطدمت مع قريبك أو جارك ، فلا تخسر صداقته . إعتذر له بالمحبة . وإن اصطدم هو معك ، عاتبه . سوف تتحول صداقتكما إلى محبة عميقة .

٩

يسرق الدولة

قرأت هذا المقال لمصطفى أمين ، فى «فكرة» ، فى جريدة الأخبار ١٩٨٧/٨/٦ . وقد رأيت نشره كما جاء :

توجد فى مصر مافيا . عصابة كبيرة واسعة النفوذ ، تمتد فروعها إلى مناصب صغيرة وإلى مناصب رفيعة . مهمتها أن تحطم كل نجاح ، وأن تقضى على كل أمل ، وأن تعطل كل مشروع وأن تقضى على كل موهبة . الويل لك إذا كنت صاحب موهبة ، أو كنت تتمتع بكفاءة أو خبرة . إن المافيا لا تحب إلا الأصفار ولا تطمئن إلا للفاشلين العاجزين . إذا جاء مستثمر بمشروع يفيد البلد أعلنت عليه الحرب وأطلقت عليه الإشاعات ، وأثارت أمامه الإشكالات ، واستعدت عليه المدعى الاشتراكى والمباحث والمخابرات .

هذه المافيا لا تطيق أن ترى أحداً يرفع رأسه ، فهى تريدنا جميعًا منكسى الرؤوس ، بعضنا أطلال وبعضنا أشلاء . فهى لا تستريح إلا إذا كثرت الخرائب وزادت الأنقاض .

إذا سمعت عن لص يسرق الدولة تسترت عليه ، وحمته ، ودافعت عنه ، وإذا علمت أن مواطناً يخدم بلاده انقضت عليه ، ولوثت سمعته

وشوهت صورته ، وجعلته يندم على أنه ضحى بثروته وصحته وحياته من أجل خدمة هذا الوطن . فالطوب هو الأوسمة التى تلقيها عليه ، والطين هو النياشين التى تنعم بها عليه ، وتستمر تطارده حتى يسقط على الأرض ، ويتحول من المكافحين إلى الكسالى المتفرجين .

ابحث عن هذه المافيا تجد لها فروعاً فى كل وزارة وكل شركة وكل مصلحة . وسوف تعرف أسماء أعضاء هذه العصابة عندما تعرف أسماء الكبار والصغار ، الذين طفشوا شباباً جاء من الخارج ، ومعه خبرة عالمية وثروة كسبها بكده وجهده وعرقه ، جاء بها ليشترك فى بناء مصر وتعميرها . وإذا به يجد فى كل خطوة عقبة ، وفى كل كرسى مسمار ، وفى كل طريق حفرة . وفى أى بلد آخر كانت الحكومة تمسك بتلابيب هؤلاء المخربين وتزج بهم فى السجون وتحاكمهم بتهمة تخريب الاقتصاد ، ولكننا فى بلدنا الطيب نستبقيهم أو نرقيهم أو نهنئهم على موقفهم الوطنى .

لولا هذه المافيا لما كان هذا حالنا . لانهالت المشروعات والمصانع على بلادنا ، ولقامت المصانع ، ولدخلت صناعات جديدة ، ولدخل الرخاء ، ولما بقى فى بلادنا عاطل واحد ، ولارتفع الجنيه إلى مائة قرش صاغ .

إن كل من يضع عقبة فى طريق الرخاء إنما هو يغمد خنجراً فى ظهر مصر ، وكل من يفسد مسماراً فى مصنع أو ينتج إنتاجاً سيئاً إنما يحاول اغتيال أُمَّة .

فلنبحث عن الذين يدوسون الوطن قبل أن نبحث عن الذين يبيعون الخيار بقرش زيادة عن التسعيرة .

١٠

على الرصيـــف

لفت نظرى صديق إلى تمثيلية «الراية البيضاء» التى عُرضت فى مصر على الشاشة الصغيرة ، وهى التمثيلية التى كتبها أسامة أنور عكاشة ، وأخرجها محمد فاضل .

وهى قصة تدور حول فضة المعداوى (التى قامت بدورها سناء جميل) ، وهى سيدة ، مات زوجها ، فدخلت إلى المجتمع تحل محل زوجها فى تجارة السمك ، وفى سنوات قليلة صارت مليونيرة كبيرة ، رغم أنها غير متعلمة ، وعن طريق أموالها ، اشترت كل ما أرادت من أملاك ، ومن ذمم المجتمع ، وصارت من أقوى الشخصيات بأموالها .

ثم يقدم الكاتب مفيد أبو الغار (والذى قام بدوره جميل راتب) فهو سفير ، غنى ، مثقف محترم . يسكن فى فيلا بها تحف ولوحات أثرية ، تمثل الحضارة والفكر ، إلى جانب التراث .

مفيد أبو الغار ، لم يكن يربط بينه وبين فضة المعداوى شىء . ولم يكن يهتم بأمرها ، كان مشغولاً فى أعماله ، وكان يعيش فى مستواه العلمى والثقافى المعتاد .

أرادت فضة المعداوى أن تشترى فيلا أبو الغار ، لا لسبب إلا لأن أطماعها اتجهت إلى هذه الفيلا ، لتهدمها ، وتبنى مكانها عمارة هائلة . أرادت الثراء ، عرضت كل ما يمكن من المال ، لكن أبو الغار رفض فهو يعتز بالتراث . وهنا يعيش أبو الغار معركة ، هو برىء منها كل البراءة . وكل السبب هو أطماع فضة المعداوى للاستيلاء على الفيلا . فحاربته فضة المعداوى بكل وسيلة ممكنة .

وتدور رحى المعركة ، بأن فضة المعداوى ، تختلق الاتهامات لمفيد أبو الغار ، واحدة تلو الأخرى ، يساعدها فى ذلك محاميها ، الذى تهمه المعركة . فكل خطوة فى المعركة يكسب منها هذا المحامى أموالاً طائلة . تستخدم فضة فى حربها كل الوسائل السوقية اللاأخلاقية ، وكل وسائل الابتزاز . لكن أبو الغار ، يواجه المعركة بأساليب كريمة . يقف مع أبو الغار مجموعة من المثقفين ، الأشراف ، وكلما حاول واحد منهم أن يستخدم أسلوباً للمعركة ، لم يتمكن إلا من استخدام أساليب كريمة ، ووسائل قانونية شريفة .

لكن محمد فاضل ، يصل بالمعركة ، إلى المرحلة التى تحبك فضة المعداوى مؤامرة خسيسة يدخل بسببها أبو الغار السجن أربعة أيام . خلال ذلك ، يدخل اثنان من أتباع أبو الغار من الشباب السجن باتهام قذر ، بإدارة وكر للمخدرات ، وكلها اتهامات باطلة ، وهنا ينهار أبو الغار ، صاحب القيم ، أمام وسائل المعركة غير الشريفة ، ويقبل أن يبيع الفيلا ، فى مقابل خروج الشابين (شاب وشابة) من السجن . وتقدر فضة المعداوى بأموالها على إنقاذ الشابين من السجن .

روع الشابان بعد خروجهما من السجن ، بأن ثمن خروجهما كان بيع الفيلا . وكان السؤال الدائر فى كل المعركة ، الذى استمر بعد بيع الفيلا ، هل يخضع الشريف أمام الأساليب السوقية الدنيئة ؟ هل ينتصر فى

النهاية الشر والفساد والسوقية على كل أساليب الشرف والكرامة ؟

وهنا جاءت فضة المعداوى ، يتبعها البلدوزر ، ليهدم فيلا أبو الغار ، وكان الخبر قد سَرى . والذين كانوا يتابعون الأحداث ، بعضهم يتكلم بهدوء ، وبعضهم يثور ، لكنهم فى هذه المرة تحركوا ، فتجمع كثيرون ، يتقدمهم الشاب والشابة اللذين خرجا من السجن ، وقفوا جميعا على الرصيف الذى يقف أمام الفيلا ، ثم جلسوا على الرصيف ، فى إصرار يمنع هدم الفيلا ، فلم يتمكن البلدوزر من هدم الفيلا .

وهنا جاء النداء : أن الجالسين على الرصيف، يدعون الكل إلى الجلوس معهم ، فى وجه السوقية والابتزاز ، وبهذا صور أسامة أنور عكاشة ، أنه رغم أن السوقية قد تنجح مؤقتاً ، لكن الناس أحسوا بالقصة الأليمة ، وأدركوا الأساليب اللاأخلاقية التى استخدمتها فضة المعداوى لتحقيق أطماعها ، والتى بسببها يتألم الشرفاء ، دون ذنب جنوه .

وفى مقدمة الرواية جاءت هذه العبارة .... هذه الأحداث حقيقية ، حدثت ولا تزال تحدث ، فأسامة أنور عكاشة يرى أنه يصور أحداث الواقع ، فى مجتمعاتنا المعاصرة ، بكل ما فيها من حسن أو قبح .

بقى سؤال واحد ، أطرحه هنا ، هل هذه صورة من صور المجتمع ؟ وأين نرى هذه الصورة ؟

١١

طوبى لمن يعرف أن يقول لا فى الوقت المناسب

تتوقف حياة الفرد على اختباراته وكل فرد يختار شيئاً أو يرفض شيئاً . وقد تكون مواقف الاختيار فى أمور تافهة أو بسيطة ، أو فى أمور أكثر تعقيداً .

فمن السهل أن يختار الإنسان ماذا يلبس وماذا يأكل . رغم أن الملبس له أهميته ، فهو يمثل شخصية الإنسان.، والمأكل له أهميته ، فهناك طعام يفيد وطعام يضر .

وهناك اختبارات تختص السلوك . فالإنسان الذى تحكمه قيم أخلاقية معينة ، يجد نفسه أمام أن يختار أو يرفض أشياء معينة . وأحياناً تكون أمامه مغريات عديدة ، قد يصعب عليه أن يرفضها . والشخص الصلب ، يقدر أن يرفض ما لا يتفق مع ما له من قيم .

قد يشد الإنسان اتجاه قدرى . فهو يظن أنه يعمل ما يريد ، وأن الله يجرى ما يريد ، وأن المكتوب له لابد أن يتم . فهو يعمل ما يريده أو ما يستهويه ، والباقى على الله .

فالله ، يتصرف ، دون شك . لكنه يأخذ فى الاعتبار الأحداث التى

تتم ، والسلوك الذى يمارسه الإنسان . ليس من الطبيعى ، أن يعرض إنسان نفسه للبرد ، فيصاب بالزكام ، ثم يقول إنها إرادة الله .

وليس من الطبيعى ، أن يسرق إنسان أموالاً ، ثم يطلب من الله الستر . فالإنسان يجنى ثمرة ما يعمل ، لذا كان من الطبيعى ، أن يختار الإنسان ما يريد ، وأن يرفض ما لا يريد . فإن الإنسان القادر ، هو الذى يقول نعم للمواقف الصعبة ، التى تحتاج إلى شهامة وقوة ، وهو الذى يقول لا للمواقف المليئة بالإغراءات ، ليقف بصلابة مع إرادة الصلاح والحق والعدل .

١٢

قصة خطف طائرة ...

قرأت قصة مثيرة جداً ، ملخصها ، أن طائرة حلقت فى الفضاء ، وفجأة ظهر ثلاثة مسلحون داخل الطائرة ، رجلان وامرأة . رجل منهم وقف فى مؤخرة الطائرة . وآخر مع المرأة كانا يهددان المسافرين .

أمر واحد من الرجلين ، السائق ، أن يطير إلى لندن ، تحت تهديد السلاح . وفعلاً كان . والرحلة من أمريكا إلى لندن رحلة طويلة . خلال هذه الرحلة ، هدد الخاطفون ركاب الطائرة بالقتل . عاملوهم بدون كرامة ، أساءوا إليهم كل الإساءة . وأثناء المعاملة السيئة ، قتلوا اثنين من الركاب بالرصاص .

كان ضمن ركاب الطائرة ، رجل بوليس ، كان معه مسدس ، وضعه فى جيب المقعد الذى أمامه . وكان ضمن الركاب لاعب كرة . وكان آخرون رجال ونساء .

كان الكل فى حالة غليان ! من أدراهم ، هل يُنقذون ، أوهل يُقتلون . كان الكل فى حالة هلع وخوف شديدين .

وبينما كان الخاطفون يمارسون استفزازهم للركاب ، أرادوا استفزاز

راكبة ، وانهالوا عليها ضرباً . وهنا تحركت نخوة اللاعب ، فقام دفاعاً عنها ، وضرب الضارب ، ثم ظهر رجل البوليس بمسدسه وهدد الخاطفين . وبعد دقائق ، كان الخاطفون الثلاثة قد ربطوا فى المقاعد بحبال قوية ، وأخذوا منهم أسلحتهم .

وهنا ثار –حوار شيق بين الركاب : قال أحدهم ، وكان منفعلاً جداً ، هؤلاء قتلة ، يلزم أن نقتلهم . إنهم مجرمون . لقد قتلوا اثنين أمامنا ، ولابد من الانتقام .

اتفق البعض مع هذا الثائر ، وأرادوا أن يمارسوا نفس الفكرة . القتل عندهم نتيجة طبيعية لما عمله هؤلاء المجرمون . إن القاتل لابد أن يقتل .

لكن أحد الركاب كان محامياً . قال للباقين : لابد أن نتريث . ليس لنا أن نحكم عليهم بالقتل . الحكم للمحكمة وليس لنا . عندما نصل إلى لندن ، نسلمهم للمحكمة .

وهنا ثارت سيدة ، ثورة عارمة ، وقالت : كيف يحدث هذا ؟ كم من مجرمين هربوا من العدالة ؟ وكم من مجرمين خرجوا من المحكمة دون عقاب ؟ نحن لا يجوز لنا أن نعطيهم هذه الفرصة .

عاد المحامى يتحدث . وسانده آخرون . وكان رأيهم : لو أراد الركاب قتل المجرمين . لصار الركاب مجرمين . إنه لا يجوز للإنسان الانتقام بنفسه . إنه يترك أمر الانتقام للمحكمة للتصرف بعد دراسة شاملة للقضية . وهناك أجهزة العدالة ، من حقها ، أن تحكم .

لكن رجلاً وامرأته ، كانا فى وسط الجلسة ، وسط الحوار ، والطائرة تتحرك وتقترب إلى لندن ، قاما من مكانهما ، وأرادا العودة إلى الخلف ، فى المقاعد الخلفية . وهنا سألهما أحد المتحدثين : أين تذهبان ؟ قال الزوج ليس لنا رأى فى هذه القضية . قال أحد الموجودين لهما : ليس حسناً ، أن

تشاهدا الأحداث ، وتسمعا الحوار ، ولا تبديان الرأى . لا شك أن لكما رأى . والسلبية هنا غير مناسبة ، ولا مستحبة . لابد لكما من التعبير الحر عن رأيكما .

وصلت الطائرة إلى لندن . وسلم المجرمون للعدالة .

أراد الكاتب الروائى ، أن يثير الاهتمام بموقف البشر ، إزاء الأحداث : منهم من يتحدث ويتحرك ويتصرف ، ومنهم السلبى ، الذى يهرب من المواقف ، ويختفى ، ليس لأنه لا رأى له ، ولكن لأنه لا يريد أن يكون فى الموقف المسئول .

ومن المتحدثين ، الذى فى انفعاله يريد الانتقام بنفس أسلوب الذين يرتكبون الخطأ ، ومنهم الذى أيضاً فى انفعاله يريد عقاب المجرمين بالأساليب الحضارية القانونية الصحيحة .

هذه صورة من صور المجتمع ... وهى صورة كثير من مجتمعاتنا اليوم.

أفكار فى السلوك

١

مغبـــون

كثيراً ما نسمع عن سيدة مغبونة . . أو عن رجل مغبون . . .

عندما تتغبن تزعل أو تكشر . . وترفض أن تتكلم . . . وقد تذهب إلى بيت أبيها . أعرف رجلاً عندما « اتغبن » رفض أن يسلم على الناس ، وكان من الصعب اقناعه . وكلما كلمناه ازداد عناداً . إنه لا يقتنع بسهولة . إنه يصر على أنه على صواب ويجب أن يأتى إليه الطرف الآخر معتذراً .

هذه الطريقة هى الباقية من تصرفات الأطفال فى حياة الكبار . أحياناً نشعر بمتعة فى أن نلعب كالأطفال . وأحياناً تشعر المرأة فى أنها تحتاج إلى من يدللها كما لو كانت طفلة صغيرة . والرجل كذلك .

لذلك يوجد من يتغبن بسرعة . هدفه فى ذلك هو هدف الطفل الذى « يتغبن » لأتفه الأمور :

الطفل « يتغبن » بسرعة لكى يلفت نظر والديه ومن حوله إليه . إنه يريد أن يشعر بأنه مهم وأن له مكانة مع من يعيش معهم .

الشخص الناضج قد يتضايق من تصرف غير سليم ، ولكنه لا « يتغبن » . انه يواجه المشكلة ذاتها بسرعة . إن الذى « يتغبن » بسرعة ولا يريد التفاهم ، شخص ضيق الأفق والتفكير ، يتصرف كطفل .

التفاهم دليل النضوج . . .

الغبن دليل الطفولة . . .

٢

الجدعنة

« الجدعنة » صفة من صفات « المصرى » يسعى إليها بكل إمكانياته ، ويحب أن يصفه الناس أنه « جدع » . لقد أصبحت كلمة « يا جدع » عبارة ينده بها الناس . .

الجدعنة تدفع الإنسان أن يقوم بأعمال إنسانية كريمة وخدمات لمن يحتاجون إليها . هذا عمل من أعمال الكرامة يستحق التقدير .

عندما ترى إنساناً يحتاج للمعونة ، وتتقدم لمساعدته أنت كريم الخلق .

لكن الجدعنة فى مرات تتخذ أسلوباً خطأ .

يظن إنسان أنه « جدع » إن ركب القطار ، وتهرب من الكمسارى ، ولم يدفع الأجر . . يظن إنسان أنه « جدع » إن أمكنه أن يخدع شخصاً آخر ، ويأخذ منه أموالاً أو ميزات بدون حق . .

يظن التاجر أنه من الجدعنة أن « يلف » الزبون ، ويبيع له بضاعة فيها عيب . ومتى باعها شعر أنه « جدع » وعندما يكشف الزبون العيب ، ويعود

له ، يواجه مشكلة من نوع آخر .

إن الموظف الذى لا يقوم بعمله ، يحاول أن « يلف » على رئيسه فى العمل ويخدعه بأنه عمل كل شىء ومتى اقتنع الرئيس بذلك ، شعر بأنه « جدع » لعب الدور بنجاح .

إن الموظف فى الجمعية التعاونية الذى يعطى الكسب أو غيره للفلاح ـ متى أمكنه أن يعطى كمية أقل ، « ويفوّتها » على الفلاح ، يشعر بأنه « جدع » . . . الجدعنة . . هى أن تعمل الصواب . .

من يعمل الخطأ ، أو يكسر القانون ، أو يخدع الناس . . . لا يعمل الصواب . . وبالتالى ليس بالإنسان « الجدع » .
الحق هو الحق والباطل هو الباطل . .

٣

يا ســـــاتر

عنـدمـا يريد شخص أن يدخـل بيتـاً ، فكـل ما يعمله هو أن يقـول « يا ساتر » ثم يدخل المنزل مباشرة . إن هذه الحالة ترسم لنا حالة الاندماج فى القرية وأنه لا مكان للخصوصيات فيها .

لاشـك أن للصـداقة العريضة قيمتها الكبرى ، ولاشك أن فى ارتباط الأصدقاء فوائد عظيمة القيمة . إلا أن لكل واحد خصوصياته التى ينبغى أن تبقى سراً . . . . . .

إيراد الانسان المالى من خصوصياته ، وليس من حق أحد أن يسأل آخر : كم هو مرتبك الشهرى ؟

وفكرة الزواج ، من خصوصيات الفرد . وأحياناً يسأل الفلاحون فتاة : « لماذا لم تتزوجى ؟ » هذه دائرة الخصوصيات . الإجابة بالطبع « لم يعجبنى الذين تقدموا لى » وفى حالة الاتفاق على الخطوبة لا داعى للسؤال : « على ماذا اتفقتم فى العفش » ؟

إن دخولك إلى حياة جارك أو صديقك ، ينبغى أن يكون له حدود . لا تجرعه فى أمور ليست من اختصاصك .

إن مجرد كلمة « يا ساتر » لا تكفى لتدخل البيت . فقد تكون سيدة البيت جالسة وليست على استعداد لمقابلة أحد . انتظر حتى على الباب ، حتى يسمح لك أصحاب البيت بالدخول . لا تدخل بيت جارك ، ولا خصوصيات جارك إلاّ إن سمح لك هو .

كنت جالساً مرة فى جلسة كبيرة هامة وكانت لنا مناقشات خطيرة . وكانت الخادمة واقفة داخل الغرفة تستمع للمناقشات . انتظرت أن صاحب البيت يأمرها بالخروج فلم يفعل ذلك . لم يخطر بباله قط أن الخادمة لا يجوز ان تسمع لمثل هذه الأحاديث الخاصة . لهذا تجد أن أسرار القرية تشيع بسرعة ، وتنتشر فى كل القرية . . . بل يضيف إليها كل واحد إحساساته الشخصية وأفكاره الشخصية . وبذلك تضيع خصوصيات الأفراد فى المجتمع .

لخصوصيات الناس قدسية خاصة ، ينبغى أن تبقى فى نطاق محدود ضيق . وينبغى أن يحترمها الجميع . لا يجوز أن ندخل إليها ، فإن متعة الحياة الخاصة أن تكون لها خصوصيات لا تعرفها الحياة العامة .

٤

الغـــش . ظاهـرة اجتماعية خطـيرة . .

جاء موسم الامتحـانات . . . موسم الغش فى الامتحانات !!! فهناك طلبة يكتبون الأفكار التى يتوقعون أنها تأتى فى الامتحانات ـ على كفة اليد ، أو فى أوراق صغيرة ، أو غيرها . .

وهنـاك الغش الصريح فى لجنـة الامتحـانـات . . هناك الأستاذ الذى يسـاعد التلاميذ على الغش . . . وتجد التلاميذ يفتخرون بأنهم غشوا . . . ويتنـافسون معاً فى ذلك . وكأنهم يجدون لذة ومتعة فى الغش . . . والغش مشكلة اجتماعية ـ تواجه حالات كثيرة فى المجتمع الإنسانى . فالغش يظهر فى نوع القطن عند فرزه ، أو فى إعطاء البضاعة غير المناسبة للزبون ، وفى كثير من الحالات غير ذلك .

وهناك الغش فى تفسير الأفكار والأقوال فقد ينقل إليك شخص أقوالاً عن شخص آخر لم يقلها قط ، أو قال جزءاً صغيراً منها . وبذلك تسوء العلاقات بين الناس على أساس النقل غير الأمين للأفكار . وهناك من يحصل منك وعود بريئـة ، ويستغلهـا استغـلالاً شريراً لمصلحته الشخصية ، وربما لضررك .

وهناك من يخدع فتاة بأن يقدم صورة عن نفسه أكبر من حقيقته ، فمتى تزوج ظهر الحق . وبذلك ينهدم عش الزوجية من أساسه ، لأنه بنى على خداع وكذب .

هذه صور عديدة من الغش... وغيرها كثير . ويبرر الكثيرون الغش بأنه سعى أو كفاح . فالتلميذ لابد أن يغش ، لئلا يغش غيره ويحصل على درجات أفضل منه . وهناك من يغش ليصل إلى نتيجة أفضل ورأيه فى ذلك هو أن « الغاية تبرر الواسطة » .

لاشك أن الغش ظاهرة اجتماعية خطيرة ، تهدد الكيان الأخلاقى .

ويظهر ذلك من الحقائق الآتية :

١ ـ ينشأ الغش من الطفولة . فالأطفال يتعلمون الغش من عائلاتهم أو مدارسهم وبذلك تكون عادة الغش فى الإنسان من صغره . ولهذا فإن علاج الغش ينشأ عن تربية الطفل منذ حداثته على الأمانة .

٢ ـ إن عدم الأمانة ينشأ عن اضطراب فى الشخصية وعدم نضجها . فإن الغشاش شخص يحاول أن يتفوق على أساس تجاهله لحقوق الغير . كما أن الغش يعطيه أن يصل إلى مستوى ليس هو مستواه الحقيقى ، كما أن الغش لا يعطى فرصة متساوية أمام الكل فيحصل الغشاش على درجة لا يستحقها .

٣ ـ الغشاش شخص يلجأ إلى المتعة الوقتية للغش . وقد يحصل على فائدة ، ولكنه لا يستحق هذه الفائدة . ليس المهم أن ينجح التلميذ فى الامتحان ، بقدر ما هو مهم أن يتعلم ويتهذب .

إننا نحتاج لمزيد من الإيمان . . . فنحارب الغش من أساسه .

٥

إبدأ بالإيمان أولاً . .

قد يكون لك السلوك الطيب و الأخلاق الحميدة . وقد تتمتع بالنية السليمة الحسنة المخلصة ، فإن الأعمال بالنيات ، ولايعرف النيات إلا الله ، ولكن قد تكون نيتك حسنة وشريفة . . . هذا ضرورى و لازم و لكنه ليس هو الإيمان . .

وقد تقرأ فى كتاب الله . . وتواظب على بيت الله و قد تهتم بدفع الإحسان للمساكين ، والبر بالفقراء . . كل هذا حسن ولازم . . ولكنه ليس هو الإيمان . .

إن الإيمان أعمق من ذلك .

إنه الثقة الكاملة فى الله . . ثقة فى الماضى و الحاضر و المستقبل .

ثقة فى رعايته و حفظه و عنايته . .

والثقة تدفعنا للتسليم له ، فلسنا بحاجة لاستعمال وسائل مختلفة كالأحجبة للحماية من شرور الناس و شرور المستقبل ، إن الإيمان هو التسليم الكامل الأعمى لله .

لكن الثقة ليست هى الحظ .

وليست هى التواكل والإهمال والاستهتار بالأمور ، لايوجد « حظ » ولايوجد « صدفة » إن حياة الإنسان مدبرة بالكامل من الله . إن الله يضع برنامجاً كاملاً لكل إنسان و لكننا ـ بسبب عدم إيماننا ـ نبتعد عن الطريق الذى رسمه الله ، ونسلك حسب شرورنا . لذلك نخطىء ونتعثر .

إبدأ بالإيمان أولاً :

فإن الأعمال الصالحة تنتج عن الإيمان . .

هناك من يعملون الصالحات دون إيمان مخلص بالله . إنهم أولئك الذين يعملون الصالحات لكى يحصلوا على الأجر السماوى ، ولن يحصلوا عليه . وهناك من يعملون الصالحات لأنهم مؤمنون بالله . والإيمان يلد الأعمال الصالحة .

الإيمان عطية الله . . .

فاطلب من الله أن يبذر الإيمان فى قلبك ، تحيا صالحاً باراً .

٦

احــذر . . الســرعـة مــراقبـة بالــرادار

تجد اليوم فى أماكن عديدة فى الطرقات العامة لافتة كتب عليها « إحذر السرعة مراقبة بالرادار » فإن إدارة المرور تضع الرادار فى مكان مختف . يلتقط الرادار صورة السيارة ، ورقم السيارة وسرعة السيارة . إن الرادار لا يخطىء . فهو جهاز الكترونى ، يلتقط الواقع ويسجله .

حددت إدارة المرور حدود السرعة على الطرقات . والسائق قد يكترث بالنظام ويخضع له ، وقد لا يكترث . لذلك فأنت تشهد فى الطرقات العامة حوادث كثيرة جداً . معظمها يأتى من السرعة أو السهو أو عدم المشاهدة الدقيقة . أحياناً فى السفر ليلاً ، لايقدر السائق أن يميز ما يوجد على الطريق ، بسبب السيارات التى تأتى من الجانب الآخر وأنوارها ساطعة ومبهرة .

يظن البعض أنها « جدعنة » أنه قطع المسافة الطويلة فى مدة قصيرة . والبعض يسرع دون حساب . أحياناً تجد سيارة مسرعة جداً ، لكنها قبل وصولها إلى نقطة مرور تهدىء السرعة .

وأخيراً جاء الرادار يكتشف السرعة . وقد استخدمت الدولة نظاماً شديداً لمحاسبة الذين يخطئون . لقد عاون الرادار كثيراً على تهدئة سرعة السيارات ، أو بالحرى على خضوع السائقين للقانون .

هل يتعلم الإنسان أن يخضع للقانون دون رقابة ؟

إنه من الأفضل أن يتعلم الإنسان الخضوع والالتزام بالقانون والنظام . إن من يلتـزم بالنظام هو إنسان محترم ، الالتزام بالقانون ـ دون خوف من الرادار ـ هو الحَكَم الحقيقى على أولئك الذين يحترمون النظام .

٧

ربنـــا يســـترهـــا . . .

تعبير شعبى شائع ، يتكرر مرات عديدة ، وفى مناسبات متنوعة ، وعلى ألسنة مختلفة . فالشخص المخاطر ، يدخل مخاطر الحياة ، ويطلب من الله أن يسترها ، بمعنى أن الله يعطيه أمنية الحياة التى يسعى إليها . والطالب يدخل الامتحـان ، ويطلب من الله أن يسـترهـا ، بمعنى أن الله يعـاونـه ليتـذكر الإجابات الصحيحة على الأسئلة ، فيحقق درجة حسنة ، وبالتالى ينجح . واللص ، يذهب ليسرق ، ويطلب من الله أن يحميه من أن يشهده أحد . فهو يقصد أن يحصل على ما يريد ، وأن يحفظه الله من فضيحة أن يكتشفه أحد .

إن « الله » بالنسبة لما نعامله به وبالمفهوم الذى « نستخدمه » يقوم بدور « الشماعة » التى نعلق عليها كل أخطائنا وحسناتنا . وإننى أحس بالألم ، وأنا أستخدم تعبير « شماعة » وصفاً لله . إن الله أعظم من ذلك . ونحن بسبب نوعية سلوكنا ، وأساليب تصرفنا ـ نعامله بطريقة بشرية متواضعة ، إننا كثيراً ما « نستغـل » الله كما لو كان الله وسيلة لأهـدافنا . أقول ذلك ، لأكشف الصورة التى نضع الله عليها عندما نخطىء ، أو نسىء التصرف .

يقـول قائل : إن الله العظيم ، هو مدير الكون ، ولايحدث شيء إلا باذنـه . لماذا لانـأتى إليه ونسلم له كل أمورنا ؟ إنه يأمر الطبيعة وتطيعه ، ويصنع الحياة البشرية . له الخضوع الكامل والطاعة التامة والتسليم المطلق .

هذا قول صواب . إلا أن الله لايحمل بنفسه مسئولية كل شيء ، بل إنه ليس من المعقول أنه يحمل مسئولية تصرفات البشر وأخطائهم . فلو كان كل شيء بإرادة الله ما حدث خطأ قط . فإن الله صالـح ، و لايصـدر منه إلاّ الصلاح . وهو لا يخطئ . وقد خلق الله الإنسان حراً منذ نشأته . أعطاه الله حق « الاختيار » فاختار آدم العصيان فطرده الله من الجنة . إن الله غير مسئول عن عصيان آدم ، بل إن المسئولية لآدم وحده . إن الله « يستر » عصيان آدم ، متى عاد آدم إليه تائباً ، فإن لم يعد ، ما تمتع بالستر .

إننـا ، عندما نطلب من الله ، الستر والرعاية والحفظ ، لاننس أن لنا دوراً ، وعلينا مسئولية ، إننا نقوم بها علينا ، ونترك الباقى لله . إن الطالب يستـذكـر دروسـه أولاً ، والتـاجر يحسب التكلفة قبل أن يدخل الصفقة ، والمريض يذهـب للطبيب للعلاج ، كل يعمل ما عليه أولاً بروح الطاعة لله . أما الخطأ فلا ستر له ، إلا بعد التوبة .

٨

إرضـــاء البشـــر

إن مهمة إرضاء الناس أمر صعب . لا يوجد شخص يقدر أن يرضى الجميع . إن معاملة « الله » مع الإنسان ، أحياناً ترضيه وأحياناً لا ترضيه .

لا شك أن مهمة إرضاء الناس مهمة شاقة . وهناك كثيرون يهمهم إرضاء الناس ، بل إن كل انسان يريد أن يرضى الناس بقدر صغير أو كبير .

إن أى قائد يريد أن يرضى النـاس ، لن يوفق في كل شيء . شعبنا عاطفى . ومرات كثيرة لا يريد أن يفكر بعمق فى الأمور التى تواجهه ، لكنه يفكر بعواطفه . لذلك لا يقدر أن يحقق أهدافه فى الحياة .

« الحق » يعلو فوق إرضـاء البشر . فإن تنفيذ « الحق » أهم بكثير من إرضاء الناس . إن إرضاء البشر قد يجرنا إلى الكذب ، أو إلى النفاق . إن من يتخذ شعاراً له : أن يرضى البشر قد يضيع ويخطىء الطريق . دعونا نقول الحق ونعمل الحق فإن « الحق » أهم من إرضاء الناس .

بل إن « إرضـاء الله » يأتى أولاً . فإن تعـارضت رغبات الناس ، مع

رغبات الله ، فإن « الله » يأتى أولاً . صاحب الضمير الحى ، يهتم أولاً أن يكون فى طاعة الله .

إنْ مارس البعض الخطأ ، وضغطوا عليك لتخطىء . فإن الإنسان الواعى ، المسئول الذى يهتم بأن يكون طائعاً لربه ، لا يقبل الخطأ . ينتج عن ذلك ، أن الذين يضغطون عليه ليخطىء يحاربونه ، أو يضايقونه ، أو يسببون له المشكلات . إن طريق طاعة الله ، ليس دائماً مريحاً ، أحياناً يكون متعباً وشائكاً . لكن طاعة الله مع الأشواك والآلام ، أفضل من طاعة البشر مع البعد عن طريق الله .

دعونا نتجه إلى الله بقلوبنا ، فإن العبادة هامة جداً . لكن العبادة لابد أن يرافقها سلوك صحيح ... لنكون دائماً فى طاعة الله .

٩

لئـــلا يقولـــوا . . . .

تتحـــدث مع شخص أن يعمـل شيئـاً ممتـازاً ، لكنـه غير منـاسب فى المجتمع ، يقول لك : أنا موافق ، ولكن ماذا يقول الناس عنى ؟

فمثـلاً سيدة تلبس الأسـود . إن لبس الإسـود شهـوراً ، وربما أعواما متـوالية ، يمثـل حياة كئيبة . إن الملابس السوداء ، تجعل الحياة قاتمة أمام الأبنـاء . المـلابس ليست مجرد شىء يختاره الإنسان ، لكنها تؤثر على الحياة اليومية ، وتجعل الحياة متشائمة . نسأل هنا السيدة : هل يمكن أن تغيرى ملابسـك ؟ تقـول لك : ماذا يقولون عنى ؟ إننى أخشى أن ألبس الألوان الفاتحة ، فيقولون عنى إنى غير مكترثة للعزيز الذى توفى .

لقـد أخذت فكرة الملابس السوداء كمجرد نموذج . فهناك العديد من الحالات التى يقول فيها الإنسان : لئلا يقولون عنى ؟ أو ماذا يقولون عنى ؟

إن الخوف من ألسنة الناس ظاهرة خطرة فى مجتمعاتنا المصرية . الناس يتكلمون فى كل شىء . والناس الذين يعملون قليلاً يتكلمون كثيراً ، دون تقدير أن الخوف من كلام الناس أصبح خطراً على نمو الفكر ، ونمو الحياة الناضجة .

لكل إنسان حرية شخصية . الملبس والمأكل من حرية الإنسان الشخصية . الإنسان حر ، طالما لا يضر الغير ، ولا يؤثر عليهم تأثيراً سيئاً . لماذا لانترك الناس أحراراً ؟ لقد خلقنا الله أحراراً فلماذا نتحكم فى الناس ؟

إن الشخص القوى ، لا يضطرب بكلام الآخرين . إنه لا يغير فكره ، ولا يقيد سلوكه وحياته خوفاً من كلام الناس . دع الناس يقولون ما يريدون ، ولاتخف . فإن الذين يهاجمونك اليوم ، سيقلدونك غداً .

حاول أن تبنى شخصيتك مستقلة . لا يستعبدك الناس ، إقبل من كلامهم ما تستريح إليه وارفض ما لا يوافقك . لقد خلقك الله حراً . فلا تصبح عبداً خائفاً ، مما يقوله الناس عنك .

نريد الشخصية الناضجة ـ الشخصية التى تصنع المجتمع ، وتطور التفكير ، لا الشخصية التى تخضع للخطأ فى المجتمع ، وتضعف أمامه .

١٠

هل أكل أموال الدولة حلال ؟

هل يصح أن تركب قطار السكة الحديد وتسافر من محطة إلى محطة بدون تذكرة ؟ وإن قابلك الكمسارى « تزوغ » منه وتقول له إن التذكرة مع صديق لك فى الدرجة الثانية . ثم « تزوغ » منه مرة أخرى لعل القطار يصل الى المحطة . وإن لم تتمكن من « التزويغ » تنزل فى محطة سابقة وتكرر نفس العملية فى قطار آخر يصل إلى المحطة التى تريدها ؟ هل هذا يصح ؟

وإن طلبت من الجيران كوباً من الزجاج ، ثم انكسر الكوب ، هل « تزوغ » أم تشترى لهم كوباً بدله وتعطيه لهم ؟

وإن قالوا لك إن الضريبة هى خمسة جنيهات ولهم حق فى ذلك هل تحاول أن تقنعهم أن إيرادك هو أقل من ذلك ، وأن الضريبة لا يجوز أن تزيد عن عشرة قروش فقط ؟ وهل تفتش عن شهود الزور لإثبات ذلك ؟

وإن أعجبك كتاب ، هل تأخذ الكتاب لنفسك ؟ ثم تقول إنك ستستفيد منه ؟

وإن كنت تعمل موظفاً فى مصلحة البريد . هل « تزوغ » وأنت توزع الجوابات على البيوت ، حيث لا يراك أحد . وتؤجل توزيع بعض الخطابات إلى يوم آخر . ثم تقول إن أصحابها غير موجودين ؟

حرام يا رجال البريد .. حرام ! أكل أموال الدولة . . والشعب . . . حرام !

١١

معاكسة البنات

ماذا تعمل عندما يعاكس الشباب أختك أو ابنتك ؟ عندما تسير ابنتك فى الشارع ويعاكسها تلاميذ المدارس ؟ هل تسكت أم تثور وتحاول أن تنتقم !!

وما رأيك فى الذين يعاكسون البنات فى الشوارع ؟ ! الأولاد الذين يقضون أوقاتهم على المصاطب وفى أركان الشوارع ينظرون إلى البنات وهن يسرن . ثم يتكلم الواحد منهم بألفاظ الغرام والتعليق على الجمال والملابس .

هل نمنع البنت من الخروج إلى الشارع ؟ هل نرغمها على أن تلبس الطرحة وتغطى وجهها بالبرقع ؟ هل نحبسها فى داخل المنزل ؟ ماذا نعمل ؟ وإن كان المجتمع كله ينادى بلبس الطرحة ، هل ترغم أختك وزوجتك على لبس الطرحة ، لأن الكل يلبسنها ؟

وماذا تعمل لو كان ابنك من هؤلاء الذين يجدون لذة فى معاكسة البنات ؟ هل تتركه وحريته ؟ وهل تعاقبه وتوبخه ؟ أم هل تمنعه من الخروج من البيت ؟ أو ماذا تعمل ؟ . .

معاكسة البنات وليدة الحرمان . الولد المحروم من رؤية الفتاة ومعاملتها يحاول أن يعوض ذلك بطريقة خاطئة بمعاكسة البنات فى الشارع . إنه يظن أنه بهذا يمتع نفسه بالنظر وبالشهوة ! ! ومهما نظر ومهما اشتهى فهو كأنه يشرب الماء المالح ، والماء المالح . . لن يشبع أبداً . .

كما أن معاكسة البنات ناتجة عن فكرة إبعاد الولد عن البنت . للأسف الشديد أن الشبان يكبرون وهم لا يجدون فى البنات غير الأفكار الجنسية . لدرجة أن الشاب عندما يكبر فليس له هم سوى أن يكون له زوجة ، لكى يشبع شوقه الجنسى .

إن الجنس ليس شراً فى حد ذاته . بل إن علاقة الرجل بالزوجة ـ العلاقة الجنسية ـ طاهرة كل الطهر . لكن المرأة ليست مجرد أداة جنسية . إنها مخلوق له عقل وله قلب . إنها شخصية لها عواطفها ولها أخلاقها . إنها روح يسكن فيها روح الله بالحق والقوة .

نريد أن نحل المشكلة .

ينبغى أن نعلم الشبان أن البنت هى أخت . ولو عامل كل شاب كل بنت يراها على أنها أخته ، لتغيرت الحياة كلية . إن هذه المعاملة تريه الفتاة على أنها مخلوق محترم ، يجب أن يهتم بها ويدافع عن كرامتها .

علموا أبناءكم تقديس نظراتهم للمرأة . .

علموهم ذلك بالاختلاط ـ بالقريبات ـ تحت الاشراف والتوجيه الحكيم . وبذلك تسلموا . . فيجد الشباب متعة فى الصداقة البريئة . . بدلا من المعاكسة السخيفة .

أما البنت فلا يجوز أن نمنعها من الخروج لأن الشبان يعاكسونها . ولا يجب أن نرغمها على لبس الطرحة لأن الكل يلبسن الطرحة . يجب أن تكون لها حريتها فى الخروج والدخول . وأن تبتعد قدر طاقتها عن المعاكسين . أما

هذه المعاكسات فهى طيش شباب لا يقدّر المسئولية ولا يحترمها . . طيش لا قيمة له ولا وزن له .
إن كلمات الغزل لا تسحب الشرف من الفتاة الشريفة .

فليقل الطائشون ما يقولون . وإنما أنتِ ـ ياأختى ـ كونى شريفة كل حياتك .

وانسى ما يقولون .

١٢

إن أخذت أمانة . .
من فضلك ـ ردها لصاحبها

تتكرر كل يوم فى الحياة العامة « تسليف » شىء لشخص ما . فى البيوت تستلف السيدة من جارتها « الحلة » و « الصحن » و « الوابور » وخلافه . وتنسى أن تعيدها حتى تطلبها صاحبتها . وفى المدرسة يستلف التلميذ من صديقه الكراسة والمسطرة والقلم ، وينسى أن يعيد كل هذا حتى يطلبه صاحبه .

وأحياناً تكون السلفيات أكبر من ذلك . فهذا يستلف سريراً لأن عنده ضيف ، وشخص آخر يستلف آلة موسيقية لأن عنده حفلة . وثالث يستلف كراسى فى مناسبة أخرى . وكل هؤلاء ينسون أو يهملون إرجاعها إلى أصحابها . وأحياناً يشعر صاحب الشىء بالخجل من المطالبة بحاجتاه . بينما من العجيب أن الشخص الذى أخذ السلفة لا يشعر بالخجل من عدم إعادة الأشياء لأصحابها .

إن استلفت كتاباً من شخص ما ، من المفروض أن تعيد الكتاب إليه . لا تنتظر حتى يطلبه هو منك . إن احتفظت بالكتاب عندك ـ تصير سارقاً ـ أرجع لكل شخص حاجاته وقل الحق .

قد تقول إنك لم تكذب وإنك لم تنكر أن هذا الكتاب هو ملك فلان . . ولكن احتفاظك بكتاب ليس لك لمدة طويلة ـ هذا أيضاً سرقة .

وتزيد المصيبة إن كانت السلفة ملكاً للحكومة أو لهيئة ما . فمن يسأل عنها ؟ لا أحد . وتضيع .

احفظوا الأمانات وأعيدوها لأصحابها . لا تنتظروا أن يطلبها أصحابها منكم .

ولا تقبل أن تأخذ شيئاً ليس لك الحق فيه .

كن أميناً إلى الموت ـ على حاجات غيرك .

١٣

مـا هــى الحشــــمة ؟

هل الحشمة تختلف بحسب الأشخاص .

وهل تختلف بحسب المواقف وبحسب البلاد ؟

هل الحشمة هى الدين ؟ وهل هى أساس الإيمان ؟ !

الحشمة كلمة معروفة ومشهورة . . .

نتحدث عن الحشمة فى كل شىء : حشمة فى الملابس ، حشمة فى طريقة الكلام والعمل ، حشمة فى تكشيرة الوجه ، وغير ذلك .

الحشمة تظهر فى أمور مختلفة . فإن جلس ولد ووضع ساقاً على ساق قالوا عنه : « قليل أدب » . فكيف يجلس وقد وضع ساقاً على ساق أمام من هم أكبر منه سناً ؟ ! وهل الجلوس هكذا معناه الكبرياء ؟ لقد فهم الناس منه ذلك . وإن كان الجلوس مع وضع ساق على ساق مريحاً للجسم ، إلاّ أن الحشمة فى نظر الناس لا توافق على ذلك . والحشمة أهم بكثير من الراحة عند بعض الناس .

ومن هذا يظهر الكلام عن الجلوس وطريقة الجلوس . إن الآداب القديمة تغيرت إلى آداب حديثة . ليس معنى ذلك أن الحديث صواب والقديم خطأ . وإنما هى تقاليد لا أكثر ولا أقل ، ومن اللازم أن تتطور التقاليد إلى ما هو أحسن وأفضل .

والملابس . . فيها الحشمة وغير الحشمة . والمفهوم أن الحشمة هى الملابس التى تغطى الجسد بقدر الإمكان . كان ظهور المرأة بوجه مكشوف لا يتفق مع الحشمة فى الأيام القديمة . واليوم تسير المرأة بوجه مكشوف فى القرى وفى المزارع ولا يعتبر هذا عيباً .

ثم يتحدث الكثيرون عن نوع الملابس . فالأكمام الطويلة حشمة لأنها تغطى الأذرع ، والأكمام القصيرة ليست حشمة لأنها تترك الأذرع عارية ، وتجد سيدة فى الريف تلبس الملابس التى لها الأكمام الطويلة وفى المدن تلبس غيرها ، وهكذا .

وحتى اليوم تلبس المرأة الملابس السوداء ، دليل الحشمة . وقد تغطى وجهها عندما ترى رجلاً .

وملابس الرجال فيها الحشمة وغير الحشمة . . ملابس الرجل يجب أن تكون ثقيلة حتى فى الصيف . والرأس يجب أن يغطى بالعمامة . إن الغطاء حشمة !! وعرى الذراع للرجل أو المرأة ليس حشمة .

فالحشمة فكرة ترجع إلى أيام قديمة . . يقصد بها تغطية جسم الإنسان بقدر الإمكان ـ جسم الرجل أو المرأة . والحشمة تختلف بحسب البلاد : والفكرة عن الملابس فى القاهرة تختلف عنها فى قرية صغيرة . والملابس فى أوربا أو روسيا أو امريكا يختلف التفكير فيها عن دولة أخرى .

فالحشمة فى الملابس لا يمكن أن نضع لها مبادىء أو قوانين . إنما هى تتفق ونظم المجتمع ، ولا علاقة لها بالدين .

بل إن الألوان فيها الحشمة وغير الحشمة . . .

فملابس سيدات الريف كلها سوداء « محتشمة » .

فالسيدة متى كبرت لا تقدر أن تلبس الألوان الفاتحة ـ لأنه عيب !! والرجل متى كبر لا يلبس الملابس الفاتحة اللون ـ لأنها حقيرة لا تتناسب مع شخص محترم !!

فالألوان لها ما هو حشمة وما ليس حشمة ! ولا يمكننا أن نوافق على هذا أو ذاك إنما يهمنا أن نمنع ما يعطل النضوج والنمو .

فالسيدة عندما تلبس الأسود . . كلها قطعة سوداء كالفحم ، يؤثر هذا الأسود عليها فتشعر بأنها عجوز ، ويهمنا أنها تشعر بالشباب والقوة والحياة . ويهمنا أنها لا تفشل فى الحياة ، بل يهمنا أنها ترى أن كل يوم يمر هو بركة كبرى . وأن لها فى الحياة أملاً عظيماً ...

أذكر مرة أنى كنت داخلاً عمارة . وسألت بواب العمارة عن شخص يسكن فيها ، فقال : « هو مش موجود . لا مؤاخذة حرمته موجودة » . فانه لابد أن يقول : « لامؤاخذة » قبل أن يذكر اسم « الحرمة » !! كأن اسم السيدة عيب يطلب منى عدم المؤاخذة فى ذكره !!

ويتطور الأمر الى تجاهل الرجل للمرأة أمام الناس . فهو لايهتم بأن يذكر اسمها . فيقول عن زوجته « الجماعة » أو « الأولاد » ولا يقول « زوجتى » !! وهو لا يحاول أن يظهر حبه لزوجته أمام الناس . فهذا عيب !! الحب لا يجب أن يكون ظاهرياً إنه من الحشمة أن يختفى !!

هذه هى الحشمة فى مجتمعنا . بعض الأفكار خطأ وبعضها صواب ، وبعضها لا يمكن أن نحكم عليه بالصواب أو الخطأ .

إن كانت الحشمة تحرمنى الطموح والنمو والنضوج فهى خطأ . إن كانت

الحشمة تمنع المساواة بين الرجل والمرأة فهى خطأ . إن كانت الحشمة تحرمنى حرية التعبير عن النفس فهى خطأ .

إننا نريد أن نعلن مبادىء جديدة للحشمة . نريد الحشمة الأخلاقية التى تهذّب القلب والروح . إن مظاهر الملابس ليس فيها حرام وحلال . ومظاهر الجلوس وطريقته ليس فيها الحسن والردىء إلّا ما يضر الصحة أو الجسم . وألوان الملابس لا عيب فيها مادامت تتفق مع مزاج الشخص الذى يلبس .

الحشمة هى ترك الأعمال الرديئة والتصرفات السيئة . . .

هذه هى الحشمة التى يجب أن نتبعها .

١٤

الشـــرف والعـــرض

لماذا يسعى الناس لحفظ شرفهم ؟

ولماذا يكثر الأخذ بالثأر فى سبيل الدفاع عن الشرف والكرامة ؟

وما هو العرض ؟

وهل الشرف والعرض متشابهان ؟ وفيم يتشابهان ؟

الشرف هام جداً عند العرب .

كثيرون يستخدمون الشرف فى الحلف إذ يقولون : « وشرفى » ! والعرض أيضاً هام جداً عند العرب .

كثيرون يستخدمونه فى الحلف إذ يقولون : « وحياة عرضك » !

إن كلمة شرف عندنا تزيد عن كونها عزة نفس وكرامة . كلمة الشرف عندنا فيها كبرياء وعظمة . وفيها أيضاً شىء من العرض . أما العرض فهو سمعة الزوجة . عرض الرجل هو سمعة زوجته . وعندما نقول : « ان فلان أهان عرض الرجل » معنى ذلك أنه أهان زوجته .

أمـا الـدفـاع عن الشرف ، والأخذ بالثأر فى سبيل الشرف ، فالسبب الرئيسى وراءهما هو الشعور بالنقص . كلما شعر إنسان بنقصه كلما حاول أن يظهر بمظهر أفضل .

العرض فى أساسه هو السبب الرئيسى الذى دفع الرجل لأن يترك زوجته فى البيت ويغلق عليها الباب . إنه يغار على المرأة .

إن العربى يغار على زوجته لئلا يراها أحد . إن مجرد الرؤية فيها حديث كثير .

وعند الزواج ، ترى أن أهم ما يسأل عنه الشاب « شرف الفتاة » هل تختلط بالشبان ؟ مع من تتعامل ؟ هل هى نقية السيرة ؟ هل هى خجولة ؟ فإن الفكرة العامة أن الفتاة الخجولة أشرف من غيرها . وقد لا يكون هذا صحيحاً .

ثم تأتى خرافة ما يعملونه فى بلاد كثيرة حتى اليوم، التأكد من طهارة الفتاة ليلة الدخلة. فإن ظهرت طهارتها، صار زوجها شريفاً طاهر العرض.

إننا اليوم نختلف عن الماضى . .

يمكن للمرأة أن تشتغل ، وأن يراها الناس . . وتبقى شريفة .

يمكن للزوجة أن تدخل المجتمعات ، مجتمعات الرجال والسيدات وتظل شريفة .

وشرف الرجل لا يجوز أن يعتمد على كبريائه. بل إن الشرف هو الشهامة والخدمة والتواضع والتضحية .

لا شرف فى الأخذ بالثأر . .

ولا شرف فى القتال والمشاجرة . .

ولا شرف فى كبت حرية المرأة . .

ولا شرف فى الغيرة الرخيصة على الزوجة وعلى كل ما تعمله . .

الشرف هو فى الأخلاق السامية .

١٥

« مســـك الســـيرة » فـن !

نتحدث كثيراً عن مسك السيرة . .

ولكنا نتحدث عن غيرنا من ورائهم . .

لا يوجد شخص تحت الشمس لا يتحدث عن غيره من ورائه . يندر أن يوجد من لا يشتم رئيسه من ورائه . كما يندر أن يوجد من لا ينتقد صديقه من ورائه .

فهل هذا خطأ ؟ هل هو شر ؟

هل أسمح لنفسى بأن أتحدث عن غيرى من ورائه ؟

إن « مسك السيرة » فى حد ذاته ليس شراً وليس خيراً . إنه مثل علبة الكبريت فيها خير وفيها شر . ويمكن أن نستخدمها لإضاءة المصباح ، ويمكن للشرير أن يستخدمها فى إشعال الحريق .

يمكن أن يكون « مسك السيرة » للخير . فعندما أجد مشكلة يجب أن أتحدث عنها وعندما أتحدث عنها من ورائك عن مشكلتك فأنا أدرس المشكلة ، وقد أناقشها مع شخص يفهم الموقف تمام الفهم ونبحث عن حل لها . وقد تحُل المشكلة . وفى هذه الحالة يكون « مسك السيرة » خيراً . .

وقـد أجد شخصاً يعانى مشكلة كبرى ـ نفسية أو عصبية أو عائلية أو غيرها ، ويتسبب عن مشكلته سوء فهم مع شخص آخر يعمل معه . يمكننى أن أشرح مشكلة ذلك الشخص لصديقه . وبذلك يفهم الصديق أن واجبه هو أن يحتمل الشخص المريض بمشكلاته وأن ينسى إساءته . وبذلك تخف المشكلة .

هذا الشرح والحديث ـ هو « مسك سيرة » . . . ولكنه لغرض شريف . .

« مسك السيرة » يكون للخير ، متى كان الغرض منه أن يتم التفاهم بين الأفراد . وفى هذه الحالة يحتاج الأمر للحكمة . ولذلك أشترط لمسك السيرة هدف « التفاهم » وطريق « الحكمة » .

فكن حكيماً فى اختيار الكلمات . وكن حكيما بعدم الإساءة للغير . وكن حكيماً فى فهم الطريق الذى يعاون على حل المشكلة . وكن حكيماً فى حكمك على الأمور ، فإن صاحب « الحكم » الصائب على الأمور يمكنه إصلاحها أكثر من صاحب « الحكم المخطىء » .

كن حكيماً فى فهمك للأمور . .

وليكن هدفك الرئيسى « التفاهم » ولا شىء غير إيجاد التفاهم والسلام بين الأفراد فكن صانع سلام . .

أمـا نقـل الكـلام . . وإشاعة المذمّة والتحدث عن الغير بقصد إيجاد الضرر

أما نقل الكلام . . وإشاعة المذمّة والتحدث عن الغير بقصد إيجاد الضرر لهم . . وإحداث الفتنة . . وتأليف القصص الكاذبة عن الغير . . كل هذا شر . . وشر عظيم . .

« إمسك السيرة » . .

ولكن إحذر الغرض الشرير . .

فإن هذا الأمر حساس . وقـد يحدث ـ دون أن تقصـد « أن يتحول غرضك السليم إلى شرير » . . فاحترس . .

١٦

هـل نحكـم علـى الأمـور بسـرعة ؟

شاب عمره ٢٥ سنة ، واسمه سـعد .

تزوج فتاة جميلة جداً . . عمرها ٢٠ سنة ، واسمها عايدة .

أحبها . . كان يخلص لها . . بل ويعبدها .

وبعد زواجه بحوالى سنة ، كان حبه لها كما هو . بل كان يزيد من يوم إلى يوم . وهو فى طريقه ، قابله صديق ، وقال :

« إننى أرى يوسف يسير قريباً من بيتكم . هل له علاقة بزوجتك » ؟

وهنا ثار الدم فى وجه سـعد . لماذا يذهب يوسف إلى البيت ؟ ولماذا يسير أمام بيتنا ؟

جرى سـعد إلى منزلـه . وهنـاك وجـد زوجتـه فى المطبخ فى هدوء . سكت . . . ولكنــه ثار . هل صحيح أن يوسف يحبهـا ؟ وهـل هى تحب يوسف ؟ ولكنها تعمل فى المطبخ بهدوء . ويوسف غير موجود ولكنه ثار أكثر .

فدخل المطبخ . ووجهه أحمر كالدم . وأمسك زوجته ، وقال لها : « لماذا يحضر يوسف إلى هنا » قالت له : « يوسف ! من هو يوسف ؟ » .

والزوجة البريئة مندهشة .

أمسكها الزوج من كتفها . وهو يهزها ثم طوق بيديه حول رقبتها بشدة . وهو يقول : « لا أصدق . . أنت لى . . أنت لى وحدى » . .

وأخيراً سقطت عايدة على الأرض ، وماتت !

سعد فى السجن ؟ فى انتظار المحاكمة .

إنه حائر . كيف قتل زوجته ؟

إنه لا يصدق أنها مذنبة . وكان يقول فى السجن : « عايدة . . عايدة بريئة . . أنا مذنب . . أنا مجرم » . . . حاول الانتحار . ولم يتمكن . ولكنه لايرى ضرورة للحياة . وكيف يعيش بعد أن ماتت عايدة . . . وكان هو سبب موتها ! !

جاء رسول يحمل له رسالة . . .

فتح الرسالة .

إنها من حماته ! ! !

هل هى تطلب الانتقام منه ؟ ولها حق إن طلبت .

ولكن حماته تقول له فى الرسالة :

« ولدى العزيز سعد

لقد سامحتك . . . »

أنا وزوجى وأولادى نعرف أنك تحب عايدة ـ وأنك لم تقصد أن تقتلها . ولكنك فى ثورة الغضب فعلت ما لا تحاسب عليه . .

نحن نحبك .

أنت إنسان لطيف طيب . أنت إنسان مخلص .
نريدك أن تعيش معنا .
بيتنا مفتوح لك بعد الخروج من السجن .

وفى المحكمة قدم سعد الرسالة . فهى رمز المسامحة والعفو . ولكن العدالة لا تسامح ، إنها تعاقب .
ولابد من العقاب . . .

حكمت المحكمة على سعد بالسجن .
فذهبت حماته تقول له « إصبر سعد . وتأكد أننا نحبك وفى انتظار خروجك » .

١٧

ليس بالصواب وحده يحيا الانسان بل يحتاج أن يتعلم كيف يتفادى أخطاء الغير

كنا فى سيارة فى مدينة القاهرة ، والعليمون بطرق القاهرة و ازدحامها يدركون أن قيادة السيارات بالقاهرة مشكلة ليست سهلة ، بل ان هناك مناطق بالقاهرة يصعب فيها تحقيق النظام . ولما كان الزحام شديداً ، فإن كل واحد يريد أن يتحرك ، ويصل إلى المكان الذى يريده . والسيارات أحياناً تقف فى طوابير طويلة . . من شدة الزحام .

كنت أجلس إلى جانب ذلك الصديق وهو يقود السيارة ، وفجأة داس الفرملة بشدة ، فوقفت السيارة وحمدنا الله ، كانت هناك سيارة من جانب آخر ، تقدمت بسرعة مفاجئة ولولا أن صديقى لاحظ ذلك بسرعة ، وداس الفرملة ، لحدثت حادثة خطرة على حياتنا وعلى السيارة .

نظر إلىّ صديقى ، وقال : أنا لم أخطىء . الطريق لى ومعى . وأنا على صواب . هو المخطىء . وقد كان حديث صديقى على صواب . فلم يكن هو المخطىء . لقد أخطأ سائق السيارة الأخرى .

نظرت إليه وقلت : ليس المهم أنك لا تخطىء فقط . لكن الحرص الأكبر والأهم ، أنه إلى جانب أنك تتفادى أن تخطىء أنت ، هو أن تتنبأ بما يمكن ان يحدث من أخطاء الغير ، وأن تحاول أن تتفاداه .

إن ما نفكر فيه بالنسبة للسيارة ، يلزم أن نفكر فيه بالنسبة لكل شىء آخر ، فإنه بقدر ما نكون حريصين على أن نكون أمناء فى طاعة النظام والقانون . . مخلصين لكل الأوضاع المحيطة بنا ، نكون حريصين أيضاً حتى لانقع نحن فريسة أخطاء يرتكبها الآخرون ، و نجنى نحن ثمرتها .

كم من إنسان فى السجن ، يحمل عقوبة خطأ ارتكبه غيره . كان « يوسف » فى السجن بسبب اتهام « امرأة فوطيفار » له .

وكان يوسف بريئاً ولكن امرأة فوطيفار كانت فى مركز القوة .

إن مهمة الإنسان أن يتفادى أن يقع فريسة أخطاء الغير ، بنفس القدر الذى فيه يحافظ على نفسه لئلا يخطىء هو .

١٨

أسرع الطرق إلى المال

انتشرت ظاهرة فى السنوات الأخيرة ، كان لها الأثر الكبير على الإنسان العربى ككل . هذه الظاهرة هى رغبة الثراء السريع . فكثيرون ، يسعون بكل ما لديهم من إمكانات إلى الثراء السريع .

اتجه البعض إلى التجارة ، سواء بالمال أو بالبضاعة . اتجه البعض الآخر إلى وسائل الاحتيال والخداع . فهناك من أقاموا جمعيات إسكان ، أو جمعيات تعاونية ، أو شركات استثمار ، إلى غير ذلك ، وكان هدفهم هو الاختلاس .

وقد كان هؤلاء الناس أذكياء . حرصوا على تنفيذ القانون تماماً لحماية ذواتهم . وأمكنهم بوسائل الخداع . ومن خلال القانون ، أن يكونوا ثروة طائلة فى فترة قصيرة من الزمن .

منهم من بقى فى مصر ، ومنهم من هرب للخارج ، منهم من حفظ أمواله بالداخل ومنهم من أرسل أمواله للخارج .

لايجوز لنا أن ننكر أن المال عنصر هام فى حياة الإنسان . ونحن لايجوز لنا أن ننكر ضرورة اهتمام الإنسان بتحصيل المال . ولكن المشكلة

هى الشراهة، واستخدام الوسائل غير الشريفة لتحقيق هذه الأغراض. فالوسيلة لا تبرر الغاية.

الشرف لا يعوض، ولا يشترى بثمن. الأمانة لا يحل محلها شيء آخر. سلام العقل وسلام القلب، وسلام النفس، لا يشتريها الإنسان. والحياة بدون هذا السلام جحيم لا يطاق.

قد يحصل الإنسان على كل المال الذى يريده، لكن لن يسعد، فالسلام الداخلى لا يحصل عليه الإنسان بالمال.

مرة أخرى أقول، إن السعى للحصول على امكانات المعيشة لا غبار عليه، لكن استخدام الأساليب غير الشريفة، وغير الأمينة، هو السر فى التعاسة والشقاء الذى يحققه الإنسان.

أسرع الطرق إلى المال، هى طرق الأمانة والشرف: إن أراد الإنسان المال الذى يستمر، وتستمر معه السعادة.

١٩

طوبى لمن يواجه الفشل بشجاعة

لكل إنسان انتصاراته ، ومواقف فشله . فلا يوجد إنسان ينجح دائماً .

كل إنسان يرى مواقف عديدة يكون فيها موفقاً ، يحظى فيها بتقدير الآخرين له ، ومدحهم ، وكل إنسان يواجه الانتصار بالفخر والسرور والمدح من الآخرين .

فالإنسان الناضج ، يقدِّر أن نجاحه من نعم الله عليه . ولابد له أن يعود لله بالشكر على ما حققه .

ولكل إنسان مراحل فشل أو مواقف رسوب . والإنسان إن فشل ، فالخطأ يعود إليه .

هناك إنسان يرسب ، فيلعن الدنيا ، ويحاول أن يبرر الرسوب ، بأن يضع اللوم على غيره . وهناك إنسان يفشل فى موقف ما ، فيترك كل الأمور ، ويرفض العمل بعد ذلك .

إن ما يجعل الإنسان عظيماً ، ليس قدرته على الاستمرار فى العمل بعد النجاح ، بل قدرته على النهوض بعد السقوط . فإن من ينهض بعد سقوطه ، هو الأعظم . إن من فشل فى موقف ما ، ثم نهض ، وكافح ،

وجاهد ، وبذل كل طاقته مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة حتى نجح ، هو الأعظم .

فالحياة لا تأتى دائماً بالأمر السهل . والإنسان – يواجه خبرات متعددة يتعلم منها . والإنسان الصلب ، هو الذى يثبت حتى المنتهى . فالصلابة هنا ، نجاح وانتصار .

إن من يلعن الدنيا ، ويلقى اللوم على غيره ، لن يحقق نجاحاً . بل إن من يعترف بأنه أخطأ ، أو فشل ، وأنه يبذل الجهد ليحقق أهدافه مرة أخرى ، هو الذى يبنى طريقاً صحيحاً ، ويواجه الواقع بأمانة وصدق . إن مجرد المواجهة الشجاعة للخطأ – بالاعتراف به – تعتبر فى حد ذاتها بداية النجاح .

فطوبى لمن يواجه الفشل بشجاعة ، ويواصل الكفاح ، ليحقق الأهداف .

٢٠

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

تمر شهور عديدة ... ونحن نقرأ بين الحين والآخر ، فى صحافتنا ، عن جرائم المال . فهذه شركة أنشئت لاستثمار الأموال ، إختلس شخص منها الأموال وهرب للخارج . وتلك مؤسسة ، يظهر عليها النجاح ، تتكرر إعلاناتها فى الصحافة والتليفزيون ، نكتشف فجأة أنها مديونة .

وتتساءل كافة الجهات عن مكان الأموال . وتلك جهة تعطف على الشباب وتقيم مشروعات إسكانية ، يتهافت الكل عليها ، فهى تواجه مشكلة العصر . وسرعان ما تجد أن الأموال قد توارت .

مرات تبدأ المشروعات بروح الخدمة ، ومنها ما يبدأ بالاتجاه التجارى للاستثمار ، وكلاهما لا غبار عليه . فإن المستثمر ، متى كان يحقق أحلامه فى مشروعات أو أعمال تخدم حاجة الإنسانية والمجتمع ، كان عمله عظيماً .

إن الذى يقيم مشروعاً ما ، يريد أن يدعم نفسه بالثقة ، لكى يعطيه الناس أموالهم مطمئنين عليها . والثقة تبنى أحياناً على أكتاف الإعلام المكثف ، أو على تواجد رأس مال كبير فى البنك ، أو على أساس الحظوة بأموال عديدين سبق أن وضعوا ثقتهم . والبعض يأخذون «الدين» ستاراً

يشد الناس . إما أن « القائد » أو « القادة » أناس متدينون ، أو أنهم عن طريق « المشروع » يخدمون ذويهم ، وأبناء وطنهم ، وأنهم مخلصون لله والوطن فى خدمة إنسانية عظيمة . ولما كان مجتمعنا أساساً ، مجتمع عاطفى دينى فإن التجاوب بالثقة كبير مع المسميات الدينية ، والأغطية الروحية .

إلا أن دبيب الشك ، يساور واحداً أو أكثر ، ممن أودعوا حصيلة عمرهم ، فى انتظار نجاح المشروع ، ومن ثم يشيع الخبر بسرعة البرق ، ثم تنتقل المشكلة إلى مستوى السلطة والعدالة . إن دبيب الشك لا يتواجد ، متى كانت الخطوات واضحة ، والأموال معلنة ، والتقارير نزيهة . أما متى كان هناك ما يدعو للاخفاء ، خاصة إخفاء الإيراد والصرف ، فلا شك أن هناك خطأ خطير ، يمس مصالح المشتركين والمساهمين .

وهناك الألعاب المعروفة ، لإتاهة العدالة : كحدوث حريق فى مكان ما ، أو اختفاء أوراق تعتبر مستندات رئيسية ، أو اشتراك عديدين فى المسئولية فلا تتحدد بينهم ، إلى غير ذلك .

من وراء ذلك كله ، أناس وضعوا حصيلة عمرهم ، يخسرون أموالهم ، ولا يحققون أحلامهم . أموال كان يلزم أن تحقق إنتاجاً للإنسانية والوطن –تتحول إلى جيب واحد أو أكثر– أخذوه لذواتهم ، بطرق غير أمينة . فصار واحد أو أكثر –ثرياً بالباطل، على أكتاف عديدين .

بل إن من أخطر النتائج التى تتم ، أن الناس يفقدون الثقة فى مثل هذه المشروعات الحيوية . إن فقدان الثقة –فى حد ذاته– خسارة كبيرة . كما أن ضياع فرص مماثلة لمشروعات وأهداف ، تخدم الإنسانية والمجتمع ، خسارة تضر المجتمع والناس .

إن إغراء المال ، يجعل المال السيد المتسلط على الإنسان ، يسوس فكره ، ويقود مسيرته .

بل إن المشكلة أكبر من ذلك . فإن من المدهش أن إنساناً ، يستحل لنفسه أن يحوز أموال إنسان –يكون قد جمعها بشق الأنفس– ولا يحس بألم. وكيف يستبيح إنسان ، أن يأخذ أموالاً من صديق ، يتباهى بصداقته ، فى وقت ، هو يأخذ هذه الأموال لنفسه ، ويعلم أنها لن ترد لصاحبها أو أن معظمها يضيع عليه . متى يفقد الإنسان الحساسية الإنسانية؟

وقد استشرت ظاهرة «الغش» ، سواء الفردى . أو الجماعى . والظاهرة متشابهة بين الغش والاحتيال : فكلاهما ، يريد أن يصل إلى ما يريد بسرعة وبطريق غير شريف .

نحن مسئولون أن نربى الأجيال الصاعدة ، وأن نغرس القيم الشريفة والأمينة فيهم ، فتحقيق الآمال المحدودة ، عن طريق الشرف والأمانة وفى الوقت المناسب ، أكرم بكثير من تحقيق أطماع جسيمة على أسس الشر . والخداع والاحتيال والاختلاس .

إن المسئولية التربوية تزداد خطورة ، فى مواجهة قيم منحلة تتسرب إلى الشباب ، وتنال منهم .

٢١

الحـــــرية

عشت فى مجتمعات الحرية ، وأحسست بكل ما يحيط بها ، رأيت فيها الصواب والخطأ . شاهدت فيها كيف يستغل البعض الحرية فرصة للتطرف أو الاستغلال أو الشر .

عشت فى مجتمعات الدكتاتورية والسلطة الرهيبة . رأيت الذى يريد أن يقول الحق ، يتلعثم فقد يصيبه ضرر . تارة يصمت ، وتارة يكذب . شاهدت الذى يريد أن يعبر عن نفسه ، وقد فقد القدرة على ذلك . فهو ينطوى على ذاته ، ويتلوى فى أعماقه ، ويعانى فى داخله ، ولا يتكلم .

الحرية ، نعمة الله على الإنسان . فقد خلق الله الإنسان حراً . أعطاه العقل الجبار المفكر . فعقل الإنسان أعظم ما فى الوجود . والحرية تدفع الإنسان إلى الخلق والابتكار . فالإنسان الحر ، هو الذى صنع القطار ، ثم صنع الطائرة ، ثم صنع الصاروخ ، ثم طار مع الصاروخ إلى القمر . والإنسان الحر سيحقق فى الأعوام المقبلة معجزات عظيمة القدر .

الحرية تعاون الإنسان أن يكون صادقاً مع نفسه ، صادقاً مع غيره .

فالحر يقول الحق ، يعبر عن ذاته دون خوف ، يمارس مواهبه وقدراته ، محققاً لنفسه ولغيره أعظم الإنجازات .

لكننا لا ننسى أن البشر مختلفون . فهناك من يحافظون على أساليب الشرف والأمانة ، وهناك وصوليون منافقون ، يستغلون كل فرصة ممكنة لتحقيق أهدافهم وأطماعهم وشهواتهم الشريرة ، ومتى وجد شخص واحد فقط ، فإنه يفسد خيراً جزيلاً . إن تواجد شرير وصولى فى جو من أجواء الحرية ، يفسد كثيراً من المعانى الحلوة الجميلة .

لكن وجود الشرير والشر ، لا يجوز أن يعطل الحرية . فالحرية –فى حد ذاتها– نعمة عظيمة القدر . ومجتمع الأحرار ، متى كان مسئولاً ، يمكن أن يكتشف الشر الذى يحاول أن يفسده .

جو الدكتاتورية والإرهاب جو خانق ، يقتل الطموح ، ويعطل التقدم ، فى مجتمع الدكتاتورية يظهر النفاق والكذب ، والوصولية . وبالتالى يختفى الحق ، وتذوب النزاهة .

إننا نحتاج للحرية ، لا بد لنا أن ندعمها ونسندها . نحتاج أن ننقى جو الحرية من الوصوليين والفاسدين .

نحتاج أن نرسم حدوداً معقولة للحرية ، لكى نحفظها من الانحراف ، أو نحفظها من التحول إلى الفوضوية .

وتحت ستار الفوضوية يعمل كل واحد ما يحسن فى عينيه . فيها يتصرف كل إنسان كما لو كان لوحده : دون أن يعمل حساباً للغير . فيها ينتشر الفساد ، وتعم الفوضى ، ويكثر الشر . فالحرية المسئولة ليست هى أن يعمل الإنسان ما يشاء ، دون حساب .

فالإنسان الحر ، يراعى حقوق غيره الحر مثله ، وهو يعمل حساباً لغيره باحترام وكرامة .

إننى أدعو للحرية . فالحرية فى الأسرة ، تخلق جوًا جميلاً من المحبة والألفة ، وفى المجتمع تدفعه للتقدم . لكننا نحتاج أن نحافظ على الحرية ، حتى لا تتحول إلى فوضى . بل لنحافظ على الحرية ، لكى لا تصيبها السهام ، فترتمى على الأرض جريحة .

أفكار فى قيمة المرأة

١

هـل المـرأة لغـز ؟

يقولون إن المرأة لغز . ويقولون أيضاً إن الرجل الذى يفهم المرأة رجل حكيم وقلائل من الرجال يفهمون المرأة .

ويقولون إن المرأة سر الإجرام . ولاتوجد جريمة لا تكون المرأة فيها . ويعتقدون أن المرأة هى الدافع لكثير من جرائم السرقة والقتل و غير ذلك . ويقولون إن المرأة من الشيطان . أغلق عليها الباب لئلا تفسد . ضع عليها رقيباً لئلا تلقى نفسها بين يدى الشيطان .

حـــرام . . . حـــــرام . . .

ليست المرأة لغزاً . وليست سرَّ الاجرام . وليست من الشيطان .

ولكن المرأة يمكن أن تكون ملاكاً طاهراً .

إن كانت هناك امرأة فاسدة ، ليس معنى ذلك أن كل النساء شريرات . و إن كانت حواء سبب سقوط آدم .

المرأة ملاك طاهر . عاملها بالحسنى ! ثق فيها ولاتغلق عليها الأبواب .

ـ من هى المرأة التى تصلح للحياة ؟

ليست هى المرأة الكسول ، التى لا تعمل ، وليست هى المرأة الخجول التى تخجل كثيراً . ولكنها هى المرأة التى تحب الناس و تحب خدمة الآخرين .

• انتهى الوقت الذى كان فيه خجل المرأة وعدم ظهورها يعتبر علامة من علامات الحسن والجمال .

ـ من هو الرجل الذى يصلح للحياة ؟

ليس هو الرجل الذى يتكلم كثيراً عن نفسه ، وليس هو الرجل الذى يظن أنه أفضل من غيره . وليس هو الرجل الذى ينتقد غيره . . ولكنه هو الرجل الذى يحب الجميع ويكرم الجميع .

٢

هـل تصـبح المـرأة عمـدة ؟

يحتاج الرجل أن يعرف قيمة المرأة . إنه يخجل من ذكر اسم زوجته أو مجرد لقبها الصحيح . إنه لا يقول « زوجتى » أو « امرأتى » بل « الجماعة » أو « الأولاد » . إن مكانة المرأة فى البيت صغيرة وبسيطة وتافهة ! وهذا أيضاً يدل على اهتمام الرجل بالأولاد أكثر من المرأة نفسها .

المرأة تساعد زوجها فى الحقل وتعمل معه جنباً إلى جنب . ولكنك عندما تراها تجدها تغطى وجهها . إنها تجلس على المصطبة أو على عتبة الباب وتتكلم مع جارتها بكل حرية ، ولكن عندما يمر رجل تميل بوجهها إلى الداخل ، وربما تدخل بيتها .

والمرأة تحتاج لمن يتقدم الصفوف ويفتح الباب . إننا نرى نساء يقمن بأعمال القيادة . ولكن هناك حاجة لمن يفتح لهن الباب ، ويترك لهن فرصة القيادة .

كثيراً ما نعطى النساء الإحساس بأنهن لا ينجحن فى أعمال القيادة ولانترك لهن فرصة للتدريب عليها أو ممارستها .

والمـرأة فى مصر تعلمت . . وأصبحت تعمـل فى محلات التجـارة وفى المصـانـع . . وفى الإذاعـة . . وفى التليفـزيون . . وفى الصحـافة . . وفى التعليم . . و مضيفة فى الطائرة . . وفى الشرطة . . وفى مجلس الشعب . .

المرأة اليوم تتقدم الصفوف . .

فهل تعمل المرأة عمدة ؟

سوف يأتى الوقت الذى ترى فيه المرأة عمدة ؟ سوف يأتى الوقت الذى فيه تعمل المرأة فى وظيفة فى مركز القيادة . سوف يقبل الرجل أن تكون رئيسته امرأة . وليس فى هذا عيب . سوف تصبح المرأة شخصية هامة فى المجتمع .

لقد كانوا قديما ـ ولازالوا ـ يستخدمون كلمة « امرأة » للإهانة . عندما تقول لرجل ما « أنت امرأة » تكون هذه إهانة له .

كلمة « المرأة » ليست شتيمة كما كانت فى العصر القديم . المرأة شرف وفخر للرجل . وكلما تمجدت المرأة صار لها شأن أعظم وصار للرجال مركز أكبر فإن المرأة هى أمنّا وهى أختنا .

المرأة فى القيادة تربط العطف والسلطان معاً . وبذلك يمكنها أن تنجح .

فما هى – يا ترى – أول بلدة تصير عمدتها امرأة ؟

٣

لماذا نشك بسرعة فى أخلاق البنات ؟

لماذا نشك بسرعة فى أخلاق البنات ؟

إن ضحكت قلنا عنها « إنها مائعة » وإن خرجت من البيت وزارت بيوت الجيران قلنا إنها فاسدة . وإن اختلطت بالرجال قلنا إنها « تستاهل حرقها » .

ولماذا يحبس الرجل ابنته فى البيت ويمنع خروجها ؟

لماذا لاتخرج من البيت عندما تبلغ سن الزواج ؟ ولماذا يحرمها زوجها من الخروج من البيت إلى ما بعد الزواج بسنة ؟ ولماذا تعتبر الفتاة طاهرة إن كانت مسجونة فى البيت ولماذا ننتقد الفتاة إن خرجت من البيت ؟ ولماذا نعتبر أن الفتاة الخجولة هى الفتاة الشريفة ؟ ؟

كل هذه وغيرها أسئلة حيرت الناس ، وهى السبب فى حرمان البنت من التعليم وهى أيضاً السبب فى تعاسة الزواج .

المشكلة الأولى هى أن الناس يلومون المرأة قبل الرجل .

والسبب الثانى هو أن الناس يفكرون فى الشر قبل الخير .

لو رأى الناس رجلاً وبنتاً فى الطريق ، يسرع الناس إلى الشك ! الناس يظنون الشر فى غيرهم . هناك من يظن ويشك بسرعة لأن أخلاقه هو فاسدة ويظن أن كل الناس مثله .

وهناك من يشك بسرعة لأنه يعتقد أنه ليس بار سواه !

ولكن الشك صار جزءاً من تفكير الرجل ... إن السقوط ليس سهلاً يا صديقى - لاتسرع إلى الشك . فالبنت شريفة كالولد . . . لافرق .

وهناك من يعتبرون أن البنت تصير شريرة متى رآها أحد .

هذه خرافة مضحكة

لماذا يفتخر الرجل قائلاً : «ابنتى لم يرها أحد» ؟ إن هذه إهانة كبرى لابنته . إن كان لايثق فيها فإمّا أنه هو فاسد الفكر أو إنها هى شريرة !

البنت يجب أن تختلط بالناس ، وتعرف طبيعة الناس ، فمتى تزوجت صارت صالحة للحياة .

حرروا البنت من أفكاركم الخاطئة الشريرة . . إنها شريفة كالولد . . . وربما أشرف .

هذا الكتاب

واحد من كتب « أفكـــار »
للدكتور صموئيل حبيب.
دراسة بأسلوب عصري وعلمي
سهل ومشوق لموضوع القيم.
وهو يلمس جوانب هامة من
حياة الإنسان المصري.

دار الثقافة
١٠١٠٨٠٠٦